موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

ندوات تلفزيونية

عقل وقلب

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (01-12): صفات العباد الذين يحبهم الله 1

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

نتحدث في هذه الحلقة بمشيئة الله عن طائفة من الناس اختارهم الله لمحبته ، وأسبغ عليهم من أنوار قدسه ، وما ذلك إلا لأنهم صدقوا لامتثال أمره ، ضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في كليات الشريعة وأصول الدين بدمشق ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

بداية فضيلة الدكتور ، وقبل الخوض بالصفات التي تورث صاحبها محبة الله ، ما معنى أن يحبك الله ؟ وما هو الامتياز الذي أحصل عليه إن أحبني الله ؟ .

الآثار التي تترتب على محبة الله لك لا تعد ولا تحصى منها :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، وأمناء دعوته ، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

أستاذ جميل ، إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ وإذا نلت محبة الله ماذا فقدت ؟ لم تفقد شيئاً ، وإذا غابت عنك محبة الله ، ماذا وجدت ؟ لم تجد شيئاً ، النتائج ، والثمار ، والخصائص ، والآثار التي تترتب على محبة الله لك لا تعد ولا تحصى .

1 ـ إذا أحبك الله ألقى محبتك في قلوب الخلق :

منها : إذا أحبك الله ألقى محبتك في قلوب الخلق ، وإذا أحبك الخلق فهذا رأسمال لا يقدر بثمن ، أن يحبك الناس ، أن يحبك من حولك .

2 ـ إذا أحبك الله منحك الحكمة :

إذا أحبك الله منحك الحكمة .

(وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً)

(سورة البقرة الآية : 269)

الإنسان إذا أوتي الحكمة يسعد بدخل محدود ، والذي لم يؤتَ الحكمة يشقى بدخل غير محدود ، الإنسان إذا أوتي الحكمة يسعد بزوجة من الدرجة العاشرة ، والذي لم يؤتَ الحكمة يشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، الإنسان إذا أوتي الحكمة يجعل من العدو صديقاً ، والذي لم يؤتَ الحكمة يجعل من الصديق عدواً ، يعني عطاؤه لا يقدر بثمن إذا منحك الله الحكمة ، والحكمة تؤتى من الله مكافأة على إيمان المؤمن ، وعلى استقامته على أمر الله وهي من ثمار محبة الله أن تؤتى الحكمة .

3ـ إذا أحبك الله منحك السكينة :

إذا آتاك الله الحكمة أعطاك السكينة ، السكينة حالة من الرضا ، من السعادة ، من التفاؤل ، من القوة ، من الثقة بالنفس ، من سلام الرأي ، من صحة الرؤيا ، هذه السكينة تسعد بها ولو فقدتك كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، سعد بها أهل الكهف وهم بالكهف ، وشقي بفقدها من كان في القصور ، سعد بالسكينة سيدنا إبراهيم وهو في النار .

(يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

(سورة الأنبياء)

هذه السكينة سعد بها سيدنا يونس وهو في بطن الحوت ، هذه السكينة سعد بها النبي عليه الصلاة والسلام وهو في الغار ، والإنسان قد يؤتى مالاً وفيراً ، وصحة ، وقوة ، وذكاءً ، ولا يؤتى الحكمة ، فهو أشقى الأشقياء .

لذلك قيل : إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين .

السكينة ثمرة من ثمار محبة الله عز وجل :

السكينة أحد أكبر أسباب سعادة الإنسان ، هي ثمرة من ثمار محبة الله ، يعني إذا أحبك الله شيء لا يتصور ، أن يحبك خالق السماوات والأرض ، الذي بيده كل شيء ، الذي بيده من هم فوقك ، ومن هم تحتك ، ومن هم حولك ، الذي بيده صحتك ، وأهلك ، وأولادك ، ومن يلوذ بك كلهم بيده ، الذي بيده حياتك ، و موتك ، ورزقك .

لذلك الإنسان إذا عرف الله عرف كل شيء ، وإذا فاتته معرفة الله فاته كل شيء .

4 ـ إذا أحبك الله منحك الرضا :

من معاني محبة الله لك أن يلهمك الرضا ، ترضى أنت ، ترضى عن وجودك ، وترضى عن وضعك، وترضى عن دخلك ، وترضى عن أهلك وأولادك ، الرضا أحد أسباب السعادة ، فالمؤمن راضٍ .

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا فليس لي عنهم معدلٌ وإن عدلوا

والله وإن فتتوا في حبهم كبدي باقٍ على حبهم راضٍ بما فعلوا

* * *

والله الذي لا إله إلا هو لو شققت على صدر مؤمن عرف الله لرأيت فيه من السعادة ما لو وزعت على أهل بلد لكفتهم ، الله عز وجل يقول :

(إِنّ الصّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

قال علماء التفسير : ذكر الله أكبر ما في الصلاة ، لكن بعضهم قال : ذكر الله لك وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له ، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكنه إن ذكرك منحك الرضا ، منحك السكينة، منحك الحكمة ، منحك نعمة عزت على معظم الناس ، منحك نعمة الأمن ، نعمة الأمن شيء لا يقدر بثمن ، قد ينجو الإنسان من آلاف المصائب ، لكنه خائف ، وأنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، الآن عندنا أزمات قلبية سببها الخوف من أزمات القلب .

من وصل إلى الله وصل إلى كل شيء :

لذلك حينما أُلِّف كتاب دع القلق وابدأ الحياة ، طُبع منه خمسة ملايين نسخة هناك قلق في العالم سببه البعد عن الله .

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

فأن يحبك الله لا يعلم هذه النعم إلا من عرفها ، ولا يعرف حقيقتها إلا من فقدها فلذلك إذا أحبك الله ألقى محبتك في قلوب الخلق ، إذا أحبك الله خدمك عدوك من دون أن يشعر ، وإذا لم يحبك الله لا سمح الله ولا قدر تطاول عليك أقرب الناس إليك ، فإذا رضي الله عنك انتهى كل شيء ، وصلت إلى كل شيء ، ما فاتك شيء .

لذلك مما أُثر عن الصديق رضي الله عنه أنه ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، أحياناً الإنسان تفوته امرأة أراد أن يتزوجها فلم يوفق ، يبقى طوال حياته نادماً ، يفوته شراء بيت يبقى طوال حياته نادماً ، أما المؤمن إذا وصل إلى الله وصل إلى كل شيء ، وإذا قصر في معرفة الله ما أصابه شيئاً ، بل فاته كل شيء .

فلذلك أن يحبك الله شيء كبيرٌ كبير ، يعني الصحابة كانوا عشرة آلاف ، وصلوا إلى أطراف الدنيا ، والمسلمون اليوم مليار وخمسمئة مليون ، ليست كلمتهم هي العليا وليس أمرهم بيدهم .

سيدنا خالد لن الوليد طلب من سيدنا الصديق مدداً ، كان في معركة يواجه ثلاثمئة ألف مقاتل ، معه ثلاثون ألفاً ، طلب مدداً خمسون ألفاً ، أرسل له المدد سيدنا الصديق كم ؟ واحد ، صحابي اسمه القعقاع بن عمرو ، فلما وصل إليه قال له : أين المدد ؟ قال له : أنا المدد ، قال له : أنت ؟! قال له : أنا ، معه كتاب من سيدنا الصديق ، قرأ الكتاب يقول سيدنا الصديق : يا خالد ! والذي بعث محمداً بالحق إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم .

كان الصحابة واحد بمليون ، الآن المليون بأف ، وليس بواحد ، كلمة أف تضجر ، فلما عرف الصحابة الكرام ربهم فتحوا أطراف الدنيا ، وكانت كلمتهم هي العليا .

الأستاذ جميل :

يعني فضيلة الدكتور ، وصلوا إليها بمحبة ولم يصلوا إليها بالسلاح ؟.

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ :

الدكتور راتب :

أبداً هذه تهمة ظالمة .

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

(سورة البقرة الآية : 256)

أصل من أصول هذا الدين العظيم ، هذا الدين العظيم لا يحتاج إلى إكراه ، الذي خلقنا من لا شيء ، وحياتنا بيده ما أرادنا أن يُكرهنا على ديننا ، الخالق الذي منحك نعمة الوجود ، الذي منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والرشاد ، ما أكرهك على أن تكون مؤمناً ، قال :

(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)

أيعقل أن مسلماً ، أو قوة إسلامية تكره الناس على الإسلام أنا أرى أنه إذا عرفت الله عرفت كل شيء ، وإذا أحبك الله ما فاتك شيء من الدنيا .

الأستاذ جميل :

من رحمة الله سبحانه وتعالى وإحسانه أنه لم يجعل محبته الشخصية لحسن خلقة أو عظيم هيئة ، وإنما هي محبة وصفية ، لصفات معينة ، فمن هم السعداء الذين يحبهم الله ؟.

اعتماد الناس في الدنيا مجموعة قيم كثيرة للترجيح بين البشر :

الدكتور راتب :

بارك الله بك على هذا السؤال ! أستاذ الجميل ، قبل أن نخوض في الإجابة عن هذا السؤال القيم .

أحياناً يكون في مدير شركة ، يقود هذه الشركة قيادة مزاجية ، لا تعرف ما الذي يرضيه ، يغضب بلا سبب واضح ، يرضى لسبب تافه ، فهذه القيادة المزاجية متعبة جداً للناس ، أما حينما يكون هذا المدير العام واضع أسس ، موضوع الدوام أحد أسباب أن يرضى عن هذا الموظف ، موضوع الإنجاز ، موضوع العلاقة الحسنة مع الزملاء ، قد يضع هذا المدير قواعد ، فإذا وصل لعلم الموظف أن الطريق إلى هذا المدير العام أن يلتزم بهذه القواعد ، فحينما يضع من كان على رأس مؤسسة ، أو وزارة ، أو جامعة ، أو مستشفى ، قواعد للتفوق عند المدير فالتعامل معه رائع جداً ، شيء واضح .

اعتماد الله عز وجل على قيمتين للترجيح بين البشر هما قيمة العلم و قيمة العمل :

من فضل الله علينا أن الله عز وجل قال :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ)

(سورة الحجرات الآية : 13)

مقياس واحد ، لذلك نحن في الدنيا اعتمدنا مجموعة قيم كثيرة يرجح بعضنا الآخرين بها ، منها قيمة المال يُعظم الغني ، منها قوة القوة ، القوي يُعظم ، الوسيم يُعظم ، أما عند الله جلّ جلاله عنده عاملان مرجحان لا ثالث لهما ، مرجح العلم ، ومرجح العمل ، قال تعالى :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)

(سورة الزمر الآية : 9)

وقال تعالى :

(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)

(سورة المجادلة الآية : 11)

مقياس العلم ، مقياس العمل .

(وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا)

(سورة الأنعام الآية : 132)

من أخطأ عند الله عز وجل فتح له باب التوبة رحمة به :

الآن الله عز وجل في كتابه الكريم أخبرنا أنه يحب أصنافاً من الناس ، أو أصنافاً من المؤمنين ، يقع على رأس هذه الأصناف :

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)

(سورة البقرة الآية : 222)

المؤمن عنده شهوة ، وعنده عقل ، أحياناً تغلبه نفسه ، أحياناً تغيب عنه الحقيقة ، أحياناً يضعف أمام شهوة ، تزل قدمه ، لو أن الإنسان إذا اخطأ ألغي من عداد المؤمنين لهلك الناس جميعاً ، لكن من رحمة الله الكبرى بنا أن الإنسان إذا أخطأ فتح الله له باب التوبة لذلك :

((عبدي لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم جئتني تائباً غفرتها لك ولا أبالي))

[ورد في الأثر]

((لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد ، والعقيم الوالد ، والظمآن الوارد))

[ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن أنس]

رحمة الله عز وجل فوق كل ذنب :

بل إن هناك مشهداً سريعاً وصفه النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يبين لنا فرح الله وهو يفرح بشكل يليق بكماله بتوبة عبده المؤمن ، ذكر أن أعرابياً يركب ناقته وعليها طعامه وشرابه ، جلس ليستريح أخذته سِنة من النوم ، استيقظ فلم يجد الناقة ، ومعلوم أن إنساناً في الصحراء إذا فقد ناقته موته يقيني بل مئة بالمئة ، أيقن بالهلاك بدأ يبكي ، ثم يبكي ثم يبكي ، فأخذته سنة نوم ثانية ، فاستيقظ فرأى الناقة، من شدة فرحه نطق بكلمة الكفر قال : يا رب أنا ربك وأنت عبدي ، من شدة فرحه ، فقال عليه الصلاة والسلام : لله أفرح بتوبة عبده من هذا البدوي بناقته .

والله عز وجل يقول :

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

(سورة النساء الآية : 27)

ينتظركم ، ينتظر توبتكم ، ليرحمكم ، ليغفر لكم ما كان منكم ، الله عز وجل رحمته فوق كل ذنب .

(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً)

(سورة الزمر الآية : 53)

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)

(سورة الأعراف الآية : 156)

المذنب شيء ، ورحمة الله تسع كل شيء .

الله يحب التوابين لأن التواب حقق الهدف الذي خُلق له :

إذاً الله يحب التوابين ، لماذا ؟ لأن هذا التواب حقق الهدف الذي خلق له ، وهو أن يسعده ، في جنة عرضها السماوات والأرض .

تماماً كأم أعدت طعاماً نفيساً جداً ، فجاء ابنها من المدرسة ، وأكل أخشن الطعام ، غضبت منه ، أعددت لك هذا الطعام ! لِمَ تأكل هذا الطعام ؟ .

فالله عز وجل تواب رحيم ، لذلك

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ)

(وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً)

(سورة النساء)

من هنا أحب الله التوابين ، لماذا ؟ لأنهم حققوا الهدف من وجودهم ، وهو أن يسعدهم الله بقربه ، لأن الله يحب عباده جميعاً ، فالعبد الذي انتفع من معرفته بالله ، وانتفع من عطاء الله ، هذا يجعل الإله العظيم يفرح ، والله عز وجل كما قلت قبل قليل : له فرح يليق بكماله ، وبجلاله .

لذلك

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ)

يحب كل تواب .

الأستاذ جميل : فضيلة الدكتور ،

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

من طهره الله عز وجل من أمراض النفس كان مؤمناً متواضعاً معطاء :

الدكتور راتب :

لأن التوبة في الأساس تطهير النفس من أدرانها ، الذنب كأنه منطقة متقرحة بالإنسان ، فحينما يتوب الإنسان شفي من أمراضه ، البعد عن الله مرض ، الحقد مرض ، البخل مرض ، المكر مرض ، الكبر مرض ، هذه أمراض أدران النفس ، فالذي طهره الله من هذه الأدران كان مؤمناً ، متواضعاً ، رحيماً ، منصفاً ، معطاءً ، محسناً ، فأمراض النفس مشكلتها أن فعلها يبدأ بعد الموت ، ويشقى بها الإنسان إلى أبد الآبدين ، أما أمراض الجسد مهما تكن وبيلة تنتهي بالموت ، أما أمراض النفس تبدأ بعد الموت ، لذلك قال تعالى :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

فالله عز وجل

(يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

المتطهر الذي نقى نفسه من الشرك ، من المعصية ، من الكبر ، من العجب ، من الإساءة ، من سوء الظن بالله عز وجل ، من الإيقاع بين الناس ، هذا شأن التائب عند الله ، إنسان طاهر أحبه الله ، وأحبه الناس .

الأستاذ جميل :

من ري القلوب ، فضيلة دكتور ، إلى معرفة العقول ، فلنعش معاً تفكر ساعة .

من تعرف إلى الله عز وجل ازداد قرباً منه و طاعة له :

الدكتور راتب :

الحقيقة الإنسان لما يتعرف إلى الله يزداد قرباً منه ، يزداد طاعة له ، يزداد خشوعاً له ، فالعلاقة بين غذاء العقل ، وغذاء القلب ، أن الإنسان إذا عرف الله انعكست هذه المعرفة طاعة له ، وإتقاناً لعباداته ، واتصالاً به ، واستعاذة به ، وتوكلاً عليه ، من هنا الإنسان كلٌ متكامل ، هو عقل يدرك ، وقلب يحب ، وغذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب .

أستاذ جميل ، بالقرآن آية كريمة حيرت المفسرين ، الآية :

(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)

(سورة الحج)

والعرب تعد السنة القمرية ، في مؤتمر الإعجاز الخامس الذي عقد في موسكو ألقيت محاضرة تزيد عن ثمانين صفحة عندي أصلها ، تؤكد أن هذه الآية التي حار الناس في فهمها تنطوي فيها أحدث نظرية جاء بها أينشتاين ، النظرية النسبية ، التي بدلت مفاهيم الفيزياء في العلم .

إعجاز القرآن الكريم دليل على أنه كلام الله تعالى :

هذه النظرية أكدت أن السرعة المطلقة في الكون هي سرعة الضوء ، فلذلك وجد أن القمر يدور دورة حول الأرض كل شهر ، نحن لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر ، ووصلنا بينهما بخط ، هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، نعرف هذا نصف القطر من نصف قطر الأرض مع نصف قطر القمر ، مع المسافة بين الأرض والقمر ، طالب بالصف السابع يحسب هذه المسافة ، هذا نصف القطر ضرب اثنين ، ضرب البي 3,14 ، المحيط ، أيضاً بحساب بسيط نحسب كم محيط هذه الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض ، في 12 شهراً ضرب 12 ، في ألف عام ضرب ألف ، نحن معنا رقم كبير جداً هو المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام

(وَإِنّ يَوْماً عِنْدَ رَبّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ)

حينما نأخذ هذا الرقم الكبير ، المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام ضرب 12 ، ضرب ألف ، هذا الرقم لو قسمناه على ثواني اليوم ، لكانت المفاجأة الصاعقة ، الجواب سرعة الضوء الدقيقة 652 299 كم في الثانية ، من تقسيم المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام على ثواني اليوم تكون سرعة الضوء .

لذلك

(وَإِنّ يَوْماً عِنْدَ رَبّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ)

يعني ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد ، اكتشفت سرعة الضوء الدقيقة نحن نقول ثلاثمئة ألف كم هذه سرعة تقريبية ، أما الدقيقة 652 299 كم .

فلذلك نظرية أينشتاين التي قلبت مفاهيم الفيزياء مدرجة في آية لا تزيد عن سطر واحد ، هذا من إعجاز القرآن الكريم ، هذا من أدلة أن هذا القرآن كلام الله ، وأن هذا القرآن يؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (02-12): صفات العباد الذين يحبهم الله 2

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

ما زال الحديث مستمراً عن طائفة من الناس ، اختارهم الله لمحبته فكانوا أحبابه ، من الذين يحبهم الله ؟ لعلنا أن نجد لأنفسنا باباً ندخل فيه إلى محبة الله ، ومعكم فضيلة الدكتور .

على كل إنسان أن يتقي غضب الله عز وجل بطاعته و اتباع منهجه :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل ، الإنسان كائن متميز ، ركب الملك من عقل بلا شهوة ، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كليهما ، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان ، هذا كلام الإمام علي رضي الله عنه .

يتضح من هذا الكلام أن الإنسان أودع الله فيه الشهوات ، وخلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، فيه جزء علوي ، وفيه جزء دنيوي ، فحينما يتقي الإنسان أن يقع في سخط الله ، أو أن يقع في غضب الله ، أو أن يقع في معصية الله ، أو أن يقع تحت استحقاق غضب الله ، يكون متقياً ، والتقوى من الوقاية ، والمؤمن يتقي غضب الله بطاعته ، يتقي نار جهنم باتباع أمره ، يتقي سخطه بإرضائه ، لكن المشكلة أي شهوة أودعها الله بالإنسان بإمكان الإنسان أن يتحرك من خلال هذه الشهوة بمستوى يساوي 180 درجة ، لكن الله سبحانه وتعالى سمح لهذا الإنسان بحيز محدود ، وليكن مئة درجة .

فالمؤمن يوقع حركته في الحياة بدافع من شهواته ، في هذا الحيز الذي سمح الله به ، لذلك هو يتقي الله.

أي شيء أراده الإنسان فللجهة الخالقة منهج يمكن أن تلبي هذه الرغبة بطريق مشروع :

كأن المؤمن مركبة ، شهوته هي المحرك ، وعقله هو المقود ، والمنهج الإلهي هو الطريق ، كيف يتقي غضب الله ؟ كيف يتقي سخط الله ؟ كيف يتقي عقاب الله ؟ كيف يتقي نار جهنم ؟ حينما يحاول من خلال المقود ، ومن خلال الحركة الجانحة التي يحدثها المحرك أن يبقي المحرك على الطريق ، على منهج الله ، هذا هو المتقي ، أكل وشرب ، لكن أكل من مالٍ حلال ، اشترى طعاماً بمال حلال ، لا شيء عليه ، اشتهى المرأة فتزوج ، زوجة صالحة ، تسره إن نظر إليها ، تحفظه إذا غاب عنها ، تطيعه إن أمرها ، ولود ودود ، يعني أي شيء أراده فللجهة الخالقة منهج يمكن أن تلبي هذه الرغبة بطريق مشروع من هنا قال تعالى :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

من هو المتقي ؟ الذي اتقى أن يعصي الله ، المتقي هو الطائع ، قال تعالى :

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

(سورة الأحزاب)

أنا حينما أتيقن قطعاً أن الجهة الصانعة هي الجهة الخبيرة ، والجهة الصانعة بالنسبة إلي هي الله عز وجل ، هو الله ، هو الخبير ، وقال تعالى :

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

عظمة هذا الدين أن أوامر الله بمجرد أن تطبقها تقطف كل ثمارها :

إذاً الله وحده يعلم ما الذي يسعدني ، وما الذي يشقيني ، ما الذي يسلمني ، وما الذي وما الذي يغويني ، أنا حينما أتبع منهجه ، لكن في ملمح دقيق جداً هذا الملمح الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به . يعني يأتي إنسان أميّ لا يقرأ ولا يكتب ، يشتري مكيفاً ، يفتح مفتاح التشغيل يأتيه الهواء البارد ، ينتفع بكل ما في هذا المكيف ، من مزايا ، وهو يجهل كلياً آلية عمله ويأتي دكتور بالتكييف ، ويشتري مكيفاً، ويفتح مفتاح التشغيل فيأتيه الهواء البارد ، كالأول تماماً .

فعظمة هذا الدين أن أوامر الله بمجرد أن تطبقها تقطف كل ثمارها ، إن علمت حكمتها أو لم تعلم ، لأن هذا الدين لكل الناس ، هذا الدين كالهواء يجب أن نستنشقه ببساطة ، فالذي يعلم الحقائق والحكم هذا يصبح داعية ، فالذي لا يعلم لمجرد أن يطبق يقطف كل الثمار ، أي ثمار الدين تقطفها لمجرد التطبيق،

إلى ماذا ينقلنا هذا ؟ ينقلنا إلى حقيقة أخطر أن أوامر الدين العلاقة بينها وبين نتائجها علاقة علمية ، يعني علاقة سبب بنتيجة .

لو جاء إنسان ملحد ، وطبق منهج الله قطف كل ثماره ، بل إنني أرى أن الإيجابيات في العالم الغربي كلها إسلامية ، لا لأنهم يعبدون الله ، بل يعبدون الدولار من دون الله ، الدين منهج موضوعي شيء رائع جداً ، أي جهة طبقته تقطف ثماره ، إلا أن الذي طبقه بسبب ذكائه ، واكتشاف حقيقة ناصعة في المنهج هذا استفاد من هذا المنهج في الدنيا فقط ، أما المؤمن استفاد منه في الدنيا والآخرة ، في الدنيا قطف ثماره يانعة ، وفي الآخرة كافأه الله على طاعته بجنة عرضها السماوات والأرض .

المتقي إنسان ذكي جداً تكيف مع الذي خلقه و صوره و منحه السمع و البصر :

لذلك المتقي إنسان أولاً ذكي جداً ، وقد قيل : الذكاء هو التكيف ، لمجرد أن تتكيف مع الذي خلقك ، وصورك ، ومنحك السمع والبصر ، وأعدك لجنة عرضها السماوات والأرض ، فأنت من المتقين ، لذلك أول سورة فيها أول أية :

(الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)

(سورة البقرة)

من هم ؟

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)

(سورة البقرة)

يعني هناك جانب عقدي ، فكري ، اعتقادي ، وجانب روحي اتصال بالله ، وجانب سلوكي العطاء ، وسيدنا المسيح عليه وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام قال :

(وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ)

(سورة مريم الآية : 31)

حركة نحو الخالق ، طاعة ، وعبادة ، وإقبال ، وسعادة ، وحركة نحو المخلوق انضباط ، وإحسان ، هذا هو المتقي ، اتقى أن يعصي الله .

الأستاذ جميل :

دكتور ، يظن بعض الناس أن التقي أو الولي :

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

(سورة يونس)

هؤلاء الناس يعتقدون أنهم ليسوا بشر ، أنهم مخلوقات من الفضاء ، ولا يمكن لأحد أن يداريهم منزلة ، فالتقوى ، طريق التقوى كما ذكرتم .

النبي عليه الصلاة والسلام سيد البشر لأنه انتصر على بشريته وأقام منهج ربه :

الدكتور راتب :

واقعي ، لولا أن النبي عليه الصلاة والسلام بشر ، تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر، لأنه انتصر على بشريته ، وأقام منهج ربه ، ومنهج رسول الله نحن جميعاً مكلفون به ، وهذا المنهج ضمن طاقتنا ، وإمكاناتنا ، لأن الله ما كان له أن يكلفنا مالا نطيق ، أبداً ، إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع .

فلذلك نحن إذا قلنا ولي هناك تعريف قرآني جامع مانع ،

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

من هم ؟

(الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

(سورة يونس)

فهذا الذي لا يعلم وهو عبء على الناس ليس ولي الله .

حرفتك التي ترتزق منها إذا كانت مشروعة

ولم تشغلك عن واجب ديني انقلبت إلى عبادة :

رأى النبي شاباً يتعبد الله في أثناء وقت العمل ، قال له : من يطعمك ؟ قال له : أخي ، قال : أخوك أعبد منك .

((اليدُ العليا خير من اليدِ السُّفْلى))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ومالك عن عبد الله بن عمر]

أمسك النبي عليه الصلاة والسلام بيد ابن مسعود وكانت خشنة من العمل ، أمسك يده ، ورفعها وقال : هذه اليد يحبها الله ورسوله .

فلذلك حرفتك التي ترتزق منها إذا كانت في الأصل مشروعة ، وسلكت بها الطرق المشروعة ، وابتغيت منها كفاية نفسك ، وأهلك ، وخدمة الناس ، ولم تشغلك عن واجب ديني ، ولا عن فريضة ، ولا عن عمل صالح ، ولا عن طلب علم ، انقلبت إلى عبادة لذلك قالوا : عادات المؤمن عبادات ، وعبادات المنافق سيئات .

فالمتقي هو الذي اتقى أن يعصي الله ، لكن في شهوات ، هذه الشهوات تدفعه إلى اقتراف المعاصي والموبقات ، لكنه ضبط نفسه إذاً هو يحتاج إلى صبر ، وهذا مما سوف يُشرح إن شاء الله .

الأستاذ جميل :

للحديث مساس بنا وبواقعنا ، المستفيد من محبة الله هو الإنسان ، فما هي بقية الصفات التي يحبها الله في عبده ؟.

التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة :

الدكتور راتب :

ذكرت قبل قليل : أن الإنسان عنده شهوات تشده إلى الأرض ، وعنده طموحات تشده إلى الله عز وجل، فحينما تزل قدمه فتح الله له باب التوبة ، لكن الآن لابدّ من توضيح حقيقة ، لماذا الصبر ؟

الإنسان له طبع ، ومعه تكليف ، الطبع مرتبط بالجسم ، الجسم يميل إلى النوم المديد ، يأتي التكليف فيأمره أن يصلي صلاة الفجر ، إذاً الطبع متناقض مع التكليف ، الطبع يدعوه إلى النوم ، والتكليف يأمره أن يستيقظ ، الطبع يأمره أن يأخذ المال .

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)

(سورة آل عمران الآية : 14)

فطبعه أخذ المال ، والتكليف إنفاق المال ، طبعه أن يملأ عينه من محاسن المرأة والتكليف أمره أن يغض البصر .

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)

(سورة النور الآية : 30)

طبع الإنسان يحب أن يخوض في فضائح الناس ، والتكليف أمره أن يسكت ، هذا التناقض بين الطبع والتكليف هو ثمن الجنة .

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

(سورة النازعات)

من آثر رضا الله عز وجل على شهوته وحمل نفسه على طاعته يوفى أجره بغير حساب:

لذلك هو بحاجة إلى الصبر ، بحاجة أن يقمع شهوته ليرضي ربه ، لكن :

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

فالمؤمن انتصر على نفسه ، وقادها ، ولم يسمح لها أن تقوده ، تحكم بها ، ولم يسمح لها أن تتحكم به ، إذاً هو صابر ، لكن الله عز وجل يقول :

(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

(سورة الزمر)

إنسان يعطيك ألف بشيك ، أو يعطيك مليون ، أو مئة مليون ، لكن في إنسان يوقع لك شيكاً ، يقول لك: أنت ضع أي رقم تريده ، هذه بغير حساب أصبحت .

أنا أرى أن الذي آثر رضا الله على شهوته ، وضبط نفسه ، وحمل نفسه على طاعة الله ، هذا يوفى بغير حساب ، والصابر إنسان عظيم ، لأن له هدف كبير ، وأوقع حركته بالحياة وفق منهج الله ، ولم يسمح لشهوته أن تحجبه عن الله .

الأستاذ جميل :

دكتور بعدها الواحد يتمنى البلاء طالما أنه شيك بغير حساب .

الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر :

الدكتور راتب :

ممنوع أن نسأل الله البلاء ، الدليل قول النبي الكريم في الطائف حينما بالغ أهل الطائف في تكذيبه ، وفي الاستهزاء به ، بل وأغروا صبيانهم بضربه ، وسال الدم الشريف من رجليه ، قال :

((إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى لكن عافيتك أوسع لي))

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر ، وفي سنده ضعف]

سأل الله العافية ، إذاً الصبر جزء من إيمان المؤمن بل إن الإيمان نصفان نصف صبر ، ونصف شكر ، فالإنسان إذا شيئاً أراده لم يحقق فهو صابر ، إذاً هو مأجور ، والإنسان إذا طمح إلى شيء فناله ، فهو شاكر ، فإما أن تكون شاكراً ، وإما أن تكون صابراً ، والإيمان نصف صبر ونصف شكر ، الدين كله انضباط ، يوجد شهوة ضبطها وفق منهج الله ، العلاقة بالمرأة الزواج فقط ، العلاقة بالمال الكسب المشروع ، العلاقة بالعلو في الأرض ليست إيذاء الناس ، خدمتهم ، وتعليمهم ، والأخذ بيدهم ، ورحمتهم .

انضباط المؤمن بمنهج الله عز وجل :

لذلك الصابر يصل إلى أهدافه كلها عن طريق ضبط نفسه ، الدين كله ضبط ، الإنسان الذي ما فيه دين متفلت ، والإنسان المؤمن منضبط بمنهج الله عز وجل ، لذلك الإنسان بلا منهج إلهي حياته فيها شقاء الدليل قال تعالى :

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)

(سورة الرحمن)

يوجد تساؤل بالآية : يا رب أيعقل أن يعلم الإنسان قبل أن يولد ؟

(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ)

أجاب علماء التفسير : أن هذا الترتيب في الآية ليس ترتيباً زمنياً بل هو ترتيب رتبي ، بمعنى أن وجود الإنسان لا معنى له إطلاقاً من دون منهج يسير عليه فالمنهج مقدم .

عندك جهاز ثمنه أربعون مليوناً ، ولم ترسل لك الشركة تعليمات التشغيل ، إن استخدمته من دون تعليمات أعطبته ، وإن خفت عليه جمدت ثمنه ، أليست هذه التعليمات أهم من الجهاز ؟ .

هكذا الإنسان ، الإنسان له منهج يسير عليه .

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

(سورة الأحزاب)

الأستاذ جميل :

إذاً نحن ممتحنين فضيلة الدكتور في هذه الحياة ، ولكن الامتحان إما أن يكون امتحان شكر ، أو أن يكون امتحان صبر .

الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء لا توزيع جزاء :

الدكتور راتب :

البطولة أن الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء لا توزيع جزاء ، الغني يمتحن بغناه ، فقد يسقط بالامتحان ، والفقير يمتحن بفقره فقد سينجح ، فإذا نجح الفقير بامتحان الفقر ، ولم ينجح الغني بامتحان الغنى ، سعد الفقير بجنة عرضها السماوات والأرض ، قد تمنح المرأة جمالاً أخاذاً ، تستخدمه بإغواء الناس ، تسقط ، وقد تأتي امرأة أقل منها بكثير لكنها تتقي الله ، تنجح ، إذاً تستحق جنة عرضها السماوات والأرض ، الأمر واضح جداً .

لا سبيل إلى أن ننتصر على عدونا إلا أن نلغي الظلم في حياتنا :

بقي المقسط .

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

(سورة المائدة)

العدل ، الله عز وجل عدل ، وعدل ساعة يعدل أن تعبد الله ثمانين عاماً ، لذلك إن الله ينصر الأمة العادلة الكافرة على الأمة المسلمة الظالمة ، العدل قيمة كبيرة جداً ، الله عدل ، فما لم يكن العدل بيننا ، فالطريق إلى النصر ليس قريباً ، لذلك قال النبي الكريم :

((إنما تُنصرون بضعفائكم))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

هذا الضعيف ينبغي أن تطعمه إن كان جائعاً ، ضعيف يمكن أن تهمله ، يمكن أن تسحقه ، يمكن أن تلبسه تهمة هو منها بريء ، ينبغي أن تطعمه إن كان جائعاً ، وأن تكسوه إن كان عارياً ، وأن تؤويه إن كان مشرداً ، وأن تعلمه إن كان جاهلاً ، وأن تعالجه إن كان مريضاً ، وأن تنصفه إن كان مظلوماً ، إذا فعلت هذا مع الضعيف ، وبإمكانك أن تهمله ، هنا الجواب : كافأك الله بمكافأة من جنس عملك ، فنصرك على من هو أقوى منك .

لذلك لا سبيل إلى أن ننتصر على عدو يبدو أنه أقوى منا ، إلا أن نلغي الظلم في حياتنا .

((إنما تُنصرون بضعفائكم))

هناك رواية ثانية :

((فإنما تُرزقونَ وتُنصرون بضعفائكم))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

هذه دعوة إلى إنصاف الظلوم ، إلى إطعام الفقير ، إلى إيواء المشرد ، إلى معالجة المريض ، وأية أمة تقيم العدل بين أفرادها تستحق أن تؤيد ، وأن تنتصر ولو أنها كافرة ، وأية أمة مسلمة لا تقيم العدل بين أفرادها لا تستحق نصر الله ولو كانت مؤمنة .

فلذلك هذا قول قاله بعض العلماء : إن الله ينصر الأمة الكافرة العادلة على الأمة المسلمة الظالمة .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، من الغذاء القلبي إلى الغذاء العقلي ، نحن عقل وقلب .

الأدلة على عظمة الله عز وجل كثيرة منها :

الدكتور راتب :

الحقيقة أنه يوجد أشياء قريبة للإنسان هو يسعى إلى إرضاء الله ، لكن الأدلة على عظمة الله بين يديه ، هناك آية كريمة تقول :

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

(سورة الذاريات)

خلق الإنسان و دور الغشاء العاقل :

سأضع بين أيدي الأخوة الكرام حقيقة يعرف مظهرها كل إنسان ، حينما يولد الجنين ينزل معه قرص لحمي ، هذا القرص يسميه الناس بالخلاص ، لكن يسميه علماء الطب بالمشيمة ، هذه المشيمة عبارة عن قرص لحمي تجتمع فيها دورة دم الأم مع دورة دم الجنين .

بالمناسبة : لو أن إنساناً أعطيناه دماً من زمرة غير زمرته لمات في ثانية واحدة بسبب انحلال دمه ، فلابدّ من أن يكون الدم الذي يأخذه الإنسان متوافقاً 100% مع دمه ، الشيء الذي لا يصدق أن هذا القرص اللحمي الذي اسمه المشيمة تجتمع فيه دورة دم الأم مع دورة دم الجنين ، وكل دم من زمرة ولا يختلطان ، إذاً ولا ينحل دم أحدهم ، لماذا لا يختلطان ؟

قال : بين الدورتين غشاء رقيق اسمه الغشاء العاقل ، سماه الأطباء الغشاء العاقل لأنه يقوم بأعمال يعجز عنها الأطباء العقلاء ، بماذا يقوم ؟ هذا الغشاء العاقل يأخذ الأوكسجين من دم الأم يضعه في دم الجنين ، فقام بدور جهاز التنفس في رحم المرأة ، ثم يأخذ السكر من دم الأم ويضعه في دم الجنين ، صار في سكر وأوكسجين ، ثم يأخذ الأنسولين من دم الأم يضعه في دم الجنين ، صار هناك سكر ، أوكسجين ، أنسولين ، قام بدور جهاز الهضم ، وجهاز التنفس ، والبنكرياس ، احترق السكر بالأوكسجين بوساطة الأنسولين ، شكّل طاقة ، والجنين حرارته 37 ، ناتج الاحتراق ثاني أوكسيد الكربون ، يأتي الغشاء العاقل يأخذ ثاني أوكسيد الكربون من دم الجنين يضعه في دم أمه ، فنفس الأم جزء منه نفس جنينها .

الآن يأخذ هذا الغشاء عوامل المناعة من دم الأم ويضعها في دم الجنين ، فالجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه قبل أن يولد ، يقوم بمهمة أخرى هي أصعب مهمة ، هذا الغشاء كأنه يعلم كم يحتاج الجنين من جميع المواد الغذائية ، السكريات ، البروتينات ، الشحوم الثلاثية ، الفيتامينات، المعادن ، أشباه المعادن ، بالآلاف ، يعرف كم يحتاج الجنين من هذه المواد ، وينفذ هذه الحاجة ، يلتقطها من دم الأم ، ويضعها في دم الجنين .

الحقيقة شيء مذهل ! فهذه المواد أصبحت جاهزة للإستقلاب في دم الجنين ، بعد الاستقلاب ينتج حمض البول ، يأتي الغشاء العاقل يأخذ حمض البول من دم الجنين ، ينقله إلى دم الأم ، فجزء من دم الأم هو دم جنينها .

الآن هذا الجنين يحتاج إلى بوتاس ، والأم فقيرة لا تأكل أطعمة فيها بوتاس عندئذٍ الغشاء العاقل يسهم في أن الأم الحامل تشتهي أكلة فيها بوتاس ، أرأيت إلى دقة الخلق ؟ هذا الغشاء يلقى بالمهلات بعد

الولادة ، يقوم بدور لا يستطيعه أطباء الأرض مجتمعين ، هذه من آيات الدالة على عظمته ، يهب هذه المشيمة وفيها الغشاء العاقل .

من ازداد تفكراً في خلق السماوات والأرض ازداد تعظيماً وخشوعاً لله تعالى :

لذلك الأدلة التي تقوم على العلم ، إن في خلق السماوات والأرض ، أو في خلق الإنسان ، أدلة قاطعة تأخذ بالألباب ، فالإنسان لو تفكر في خلق جسمه ، في دماغه ، في عينيه ، في أنفه ، في أذنيه ، في فمه، في لسانه ، في رئتيه ، في قلبه ، في جهاز الهضم ، لأخذه العجب العجاب ، وحجمك عند الله بحجم معرفتك به ، وكلما ازداد الإنسان تفكراً في خلق السماوات والأرض ازداد تعظيماً ، وازداد خشوعاً ، وطاعة ، وحقق الهدف الذي خلقه الله له .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (12-03): كيف نصل لمحبة الله ؟ - فرق التوكل والتواكل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 17-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور محل السعادة والنجاح أن يرضى السيد عن مولاه ، وحديثنا مستمر عن أناس يستحقون بأعمالهم قبولاً ، وبأخلاقهم محبة وحبوراً ، هل لنا المتابعة في صفات من يحبهم الله ؟.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لأنه قبل حمل الأمانة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل الإنسان أولاً كائن متميز .

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة ، لأنه قبل حمل الأمانة ، فلما قبل حمل الأمانة سخر الله له :

(مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

(سورة الجاثية الآية : 13)

وخلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، ثمنها في الحياة الدنيا ، أتى الله بنا إلى الدنيا كي نعرفه ، وكي نعمل عملاً يؤهلنا لجنته ، فأنا لا أبالغ إذا قلت إن علة وجود الإنسان في الأرض أن يعمل عملاً صالحاً ، أي أن يكون محسناً .

البشر صنفان لا ثالث لهما :

1 ـ إنسان تعرف على الله فسلم وسعد في الدنيا والآخرة

يمكن أن نقسم البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم ، وتياراتهم ، إلى قسمين نموذج عرف الله ، فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، كان محسناً .

2 ـ إنسان غفل عن الله فشقي وهلك في الدنيا والآخرة :

ونموذج غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه فكان مسيئاً .

لذلك البشر يصنفون صنفين لا ثالث لهما ، صنف محسن ، وصنف مسيء ، وهذه عبر عنها الفلاسفة بالاثنينية ، هناك حق وباطل ، وخير وشر ، وإحسان وإساءة ، وعدل وظلم .

فالإنسان حينما أتى إلى الدنيا ، الله عز وجل أعطاه الشهوات ، أعطاه العقل ، أعطاه الفطرة ، أعطاه المنهج ، أعطاه الوقت ، أعطاه القوة ، فالإنسان بالنهاية إما أن يكون محسناً وإما أن يكون مسيئاً .

النبي عليه الصلاة والسلام رأى جنازة فقال :

((مستريح ، أو مُسْتَرَاح منه ، فقالوا : يا رسول الله ما المستريحُ ، وما المستَرَاح منه ؟ فقال : العبد المؤمنُ يستريح من نَصَب الدنيا ، والعبد الفاجرُ : يستريح منه العبادُ والبلادُ ، والشجر والدواب))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك عن أبي قتادة]

فلذلك البشر صنفان ، محسن و مسيء ، ونحن في حياتنا الاجتماعية الإنسان عندما يموت معظم الناس يقولون الله يرحمه ، كان محسناً ، كان أباً مثالياً ، كان معلماً مثالياً ، كان تاجراً مثالياً ، أو أن يلعنه الناس بعد موته .

فهذا التقييم الفطري الطبيعي ، فالإحسان أن تحسن مع أهلك ، مع زوجتك ، مع أولادك ، مع جيرانك ، مع أصدقائك ، مع زملائك .

في عملك ، أن تتقن صنعتك ، أن تنصح بها الناس ، أن تعاملهم معاملة طيبة ، كلمة إحسان واسعة جداً، أن تحسن في علاقتك بجسمك ، أن تحسن في علاقتك بزوجتك ، في علاقتك بأولادك .

أنت محامي ، أن تحسن إلى زبائنك الموكلين ، أنت طبيب ، أن تحسن مع المرضى أن تنصحهم ، ألا تضخم مرضهم ، وألا تجهل علاجهم فتبقيهم عندك ، وغيرك أجدر منك أن يكونوا عنده .

أي القضية واسعة جداً ، فأنت في أي لحظة ، وفي أية ساعة ، وفي أي يوم إما أن تكون محسناً ، وإما أن تكون مسيئاً .

الله عز وجل يحب الإنسان المحسن :

إنسان سألك سؤالاً ، تجيبه بأدب جمٍّ ، إنسان سألك سؤالاً تستعلي عليه ، إنسان طلب منك حاجة تقدمها له ، إنسان طلب منك حاجة ترده ، ترفضه ، يعني أنت في أية لحظة تقيّم عند الله محسن أو مسيء ، فالله عز وجل بكماله المطلق ، ولأن أسماءه كلها حسنى وصفاته كلها فضلى ، يحب المحسنين ، يحب الزوج الصالح .

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً ، من أن أكون لئيماً غالباً))

[ابن عساكر عن علي بسند فيه مقال كبير]

يحب الله المرأة المحسنة ، زوجة صالحة .

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ أي يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

يحب الأب المحسن .

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

[كشف الخفاء رواه أبو الشيخ في الثواب بسند ضعيف عن علي وابن عمر مرفوعا]

يحب الابن البار .

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)

(سورة الإسراء الآية : 23)

يحب التاجر الصدوق .

((إن أطيب الكسب كسب التجار ، الذين إذا حدثوا لم يكذبوا ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ، وإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يطروا ، وإذا كان لهم لم يعسروا ، وإذا كان عليهم لم يشددوا))

[الجامع الصغير عن معاذ بسند ضعيف]

يحب المزارع ، يجعل الله كل عمله في صحيفته ، لو أكل طير حبة قمح من بستانه لأجره الله عز وجل .

علة وجود الإنسان في الأرض أن يعمل عملاً صالحاً :

الله عز وجل يحب من له عمل ، سيدنا عمر كان يحتقر من ليس له عمل ، يحب من جعل همه إرضاء الله عز وجل ، يعني موضوع الإحسان هو الحياة كلها ، هناك إحسان مهني ، وهناك إحسان أسري ، و إحسان اجتماعي ، و إحسان صحي ، إنسان يلوث البيئة ، الذي يُسرف في استهلاك الماء ، هذا ليس محسناً هذا يُسرف الماء على مزاجه ويحرم أناساً كثيرين ، لذلك النبي الكريم توضأ من كعب ، فضلت فيه فضلة ، فقال :

((ردوها في النهر يرحم الله بها قوماً آخرين))

الترشيد في استهلاك الماء إحسان ، والترشيد في استهلاك الكهرباء إحسان ، وعدم إلقاء الأذى في الطريق إحسان ، وأن تنزع شيئاً عن الطريق إحسان ، وأن تعامل جارك إحسان .

يروى أن الأمير عبد القادر الجزائري ، كان يسكن في الشام ، له جار فقير اضطر أن يبيع بيته ، فجاؤوا له بثمن بخس فغضب ، قال : والله أنا لا أبيع جيرة الأمير بهذا المبلغ ، جاء من أبلغ الأمير هذا الكلام ، فاستدعاه ، وكان دفع ببيته ثلاثمئة ليرة ، قال له : هذه الثلاثمئة لك ، وابقَ جارنا .

هناك جار محسن ، هناك حار يتفنن في إيذاء جاره ، النبي الكريم قال :

((وأعوذ بك من جار سوء ترعاني عيناه وتسمعني أذناه إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

((اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء ، إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر))

[ورد في الأثر]

في أية لحظة ، أستاذ جميل ، أنت محسن أو مسيء ، بأية لحظة ، إنسان من دون قصد مس يدك ، فتغضب ، إنسان ، ما في مشكلة أبداً ، فالمؤمن عنده سماحة ، عنده عفو ، عنده حلم ، عنده رحمة .

مرة سيدنا عمر يمشي في المسجد ليلاً ، يبدو داس دون أن يشعر على أحد المصلين ، فغضب ، فقال له : أأعمى أنت ؟ قال له : لا ، قالوا : كيف ؟! قال : سألني فأجبته .

هناك إنسان جبار ، وهناك إنسان حليم ، وقور .

الإحسان صفة من صفات المؤمن :

أستاذ جميل ، الإحسان من صفات المؤمن ، يحسن مع هرة ، يصغي لها الإناء ، يحسن مع الحيوان إذا ذبحه ، أنا أرى أناساً يذبح الحيوان ، ثم يشق بطنه ، وتفرغ أمعاءه ولا يزال يشعر بالألم ، هذا عمل فيه

إساءة .

رأى النبي إنساناً يذبح شاة أمام أختها ، فغضب ، قال له : هلا حجبتها عن أختها ؟ أتريد أن تميتها مرتين ؟ .

لذلك المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض من إحسانه ، والكافر إذا مات :

(فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ)

(سورة الدخان الآية : 29)

يرتاح الناس منه ، أنا أرى المؤمن كتلة كمال ، كتلة عطاء ، كتلة ذوق ، كتلة لطف ، هذا هو الإحسان، هو انعكاس :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

يعني هذا الإحسان سببه رحمة استقرت في قلب المؤمن ، فانعكست ليناً وإحساناً .

(وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

فهناك معادلة رياضية تتصل بالله ، تشتق منه الرحمة ، تنعكس الرحمة ليناً ، يحبك الناس ، يلتفون حولك ، ينقطع المرء عن الله ، يشتق من انقطاعه غلظة ، تنعكس فظاظة ينفض الناس من حوله ، يعني اتصال ، رحمة ، لين ، التفاف ، انقطاع ، قسوة ، غلظة ، انفضاض ، معادلة رياضية .

الأستاذ جميل :

نقرأ في كتاب الله سبحانه وتعالى أن الله يحب المتوكلين ، فما هو التوكل ومن هم هؤلاء المتوكلون ؟.

المتوكلون :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أستاذ جميل ، هناك مشكلة كبيرة في العالم الإسلامي ، أن التوكل يستخدمه المسلمون في جوارحهم ، لا يعملون ، بينما مكان التوكل هو القلب ، المؤمن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

فلذلك المنهج القويم هو طريق عن يمينه وادٍ سحيق ، وعن يساره وادٍ سحيق ، فمن أخذ بالأسباب واعتمد عليها ، وألهها ، واستغنى عن الله ، وقع في وادي الشرك ، ومن لم يأخذ بها ، وقع في وادي المعصية .

فالبطولة أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

ماذا يعني التوكل ؟ عندك سفر بمركبتك ، تراجع المركبة مراجعة تامة ، كل شؤون المركبة ، المكابح، المحرك ، الزيت ، وبعد أن تراجعها مراجعة تامة تقول يا رب أنت الحافظ ، وأنت المُسلّم ، وأنت الموفق ، جمعت بين الأخذ بالأسباب ، وبين التوكل على رب الأرباب ، هذا الموقف ليس سهلاً ، سهل جداً أن تأخذ بالأسباب كالعالم الغربي ، وتنسى الله ، وتعتمد عليها ، وتؤلهها ، وسهل أيضاً كالعالم الإسلامي أن لا تأخذ بها أصلاً ، يا رب أن تنصرنا على أعدائنا ، دعاء بلا عمل .

لذلك الذي لا يتبع الدعاء الأخذ بالأسباب يستهزئ بالدعاء .

شخص عنده جمل أجرب ، رآه عمر فقال له : ماذا تفعل يا أخا العرب بهذا الجمل ؟ قال له : أدعو الله أن يشفيه ، قال له : هلا جعلت مع الدعاء قطراناً ؟ .

رأى أناس يتكففون الناس في الحج ، فقال سيدنا عمر : من أنتم ؟ قال : نحن المتوكلون ، قال : كذبتم ، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله .

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء:

أنا أرى أن المسلمين الآن في أمس الحاجة إلى هذا المفهوم الغائب عن معظم المسلمين ، يظن التوكل لا يفعل شيئاً ، الله ينصرنا ، الله يوفقنا ، نحن أمة محمد ، أمة مرحومة ، هؤلاء أعداؤنا يزدادون قوة ، ونزداد ضعفاً ، ما لم نأخذ بالأسباب ، عندنا آية كريمة وخطيرة ، وعدم الأخذ بها أحد أسباب ضعف المسلمين ، هذه الآية :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

هم أعدوا لنا ، ولم نعد لهم ، فلذلك فرضوا على العالم ثقافتهم ، وإباحيتهم ، وأفلامهم ، وانحطاطهم ، وصار النموذج الغربي مطبق في العالم كله من خلال الإعلام ، أنا أرى أن المسلم يجب أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

التوكل محله القلب والجوارح محلها الأخذ بالأسباب :

عندنا ملمح دقيق من حديث شريف :

((إن الله يَلُومُ على العَجْزِ))

[أبو داود وأحمد عن عوف بن مالك]

ما بيدنا شيء ، انتهينا ، أعداؤنا أقوياء ، هذا موقف انهزامي .

((إن الله يَلُومُ على العَجْز ، ولكن عليكَ بالكَيْس))

الكيس أن تأخذ بالأسباب .

((فإذا غَلَبَك أمر ـ عندئذٍ قل : حَسبيَ الله ونعم الوكيل))

كيف ؟ طالب ما درس إطلاقاً فما نجح ، قال : هذا ترتيب الله ، هذا قضاء وقدر ، هكذا أراد الله ، أنا راضٍ بحكمه ، لا ، أنت كسول ، ورسبت لأنك كسول فقط ، هذا جزاء التقصير فقط ، لا تدخل الإله العظيم بتقصيرك ، فبعض المسلمين وهم ليسوا بقلة يعزون أخطاءهم إلى القضاء والقدر ، يعزون تقصيرهم ، يعزون عدم أخذهم بالأسباب إلى القضاء والقدر .

((إن الله يَلُومُ على العَجْز ، ولكن عليكَ بالكَيْس ـ بالعمل ـ فإذا غَلَبَك أمر فقل حَسبيَ الله ونعم الوكيل))

[أبو داود وأحمد عن عوف بن مالك]

أن الطالب درس دراسة رائعة ، وفر كل وسائل النجاح ، وفي يوم الامتحان أصابه مرض حال بينه وبين الامتحان ، هذا مقبول منه أن يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، أما إنسان قصّر بالدراسة فلم ينجح مرفوض أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل ، هذا جزاء التقصير ، هذا درس بليغ يحتاجه المسلمون اليوم.

الله عز وجل يحب المتوكلين :

الآن النبي الكريم ، لما هاجر ، هو سيد الخلق ، وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم لماذا اتجه ساحلاً ؟ ولماذا قبع في غار ثور ، ولماذا استأجر دليلاً غلب فيه الخبرة على الولاء (دليل مشرك) ؟ ولماذا ؟ ولماذا ؟ لم يبق ثغرةً إلا وغطاها بأخذ بأسباب ، فلما وصلوا إليه بقي ثابتاً ، هو أدى الذي عليه ، والآن الله ينصره ، قال له يا رسول الله لقد رأونا ، قال له :

((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك]

إذاً ينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن نتوكل على الله وكأنها ليست بشيء هذا هو المطلوب ، وإلا التوكل بمفهومه الساذج ، المفهوم الذي يفهمه الناس مرفوض التوكل محله القلب ، والجوارح محلها الأخذ بالأسباب ، فإذا نقلنا التوكل إلى الجوارح فهذه الطامة الكبرى ، وهذا ما يدفعه المسلمون ثمن فهمهم للتوكل فهماً غير صحيح ، الله عز وجل يحب المتوكلين .

العاقل من يحتاط للأمر قبل وقوعه :

النبي الكريم أخذ بالأسباب .

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً)

>(سورة الكهف)

يجب أن يخطط المسلمون ، أن يعيشوا المستقبل .

يروى أن غدير ماء فيه سمكات ثلاث ، مرّ صيادان أبصرا السمكات الثلاث وتوعدا أن يرجعا ، ومعهما شباكهما ليصيدا ما فيه من السمك ، فسمع السمكات قولهما ، و السمكات الثلاث ، كيسة (أي ذكية)، وأكيس منها ، وعاجزة ، قال : أما أكيس هذه السمكات لن تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير ، خرجت ، وقالت : العاقل يحتاط للأمور قبل وقوعها.

أما الأقل ذكاء بقيت في مكانها حتى عاد الصيادان ، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها ، فإذا بالمكان قد سُدّ ، فقالت : فرطت ، وهذه عاقبة التفريط ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ثم إنها تماوتت ، فطفت على وجه الماء منقلبة تارةً على ظهرها وتارةً على بطنها ، فأخذها الصياد بيده ، ظنها ميتة ، وضعها على الأرض ، بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت .

وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت .

فكل إنسان يحتاط للأمر قبل وقوعه يكون عاقلاً ، والذي يحتاط بعد وقوعه يكون أقل عقلاً ، هذا يسمونه الآن ردود الفعل ، القوي يفعل ، والضعيف يتخذ ردود أفعال ، والذي يضيع وقته في القيل والقال ، هذا العاجز فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت .

إذاً التوكل يعني أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، هذا المفهوم يحتاجه المسلمون في محنتهم الآن .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، ما هو الأمر المطلوب فعله ممن أحبهم الله سبحانه وتعالى ؟

من أحبه الله ينبغي أن يحبب الناس بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

ورد في الأثر القدسي :

((يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك ؟ فجاء الجواب : أحب عبادي إلي تقيّ القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني ، وأحب من أحبني وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟))

[من الدر المنثور عن ابن عباس]

يعني الذي أحبه الله واجبه الأول أن يحببه إلى خلقه .

((أحبني ، وأحب من أحبني ، وحببني إلى خلقي ، قال : يا رب إنك تعلم أني أحبك ، وأحب من يحبك ، فكيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وبنعمائي كي يحبوني ، وببلائي كي يخافوني))

فالذي أحبه الله ينبغي أن يحبب الناس بالله عز وجل .

الأستاذ جميل :

القلب يحب ، والعقل يتفكر ، روينا القلوب من محبة الله ، والعقول عطشى لمعرفة الله .

التفكر يزيد الإنسان تعظيماً و حباً لله عز وجل :

الدكتور راتب :

كلما تفكرنا في خلق السماوات والأرض ، وكلما تفكرنا في خلق الإنسان ازددنا تعظيماً لله ، ومحبة له، وطاعة له ، بالإنسان جيش بكل معاني الكلمة ، فيه فرقة اسمها فرقة الاستطلاع ، الجيش هو الكريات البيضاء ، هذه الكريات خمس فرق ، فرقة الاستطلاع مهمتها استخباراتية ، إذا دخل جرثوم إلى الجسم تتجه إليه ، لا تحاربه إطلاقاً ، مهمتها استطلاعية ، مهمتها معلوماتية ، تأخذ شفرته الكيماوية ، وتعود إلى مركزها ، وتسلم هذه الشيفرة إلى فرقة ثانية مكلفة بصنع الأسلحة المصول ، هذه الفرقة مركزها في العقد اللمفاوية ، هذه الفرقة تصنع المصل المضاد لهذا الجرثوم ، وتحتفظ بالتركيب في الذاكرة ، فإذا عاد الجرثوم بعد سبعين عاماً الإضبارة جاهزة ، ولولا هذه الذاكرة المذهلة لا معنى للتلقيح إطلاقاً ، الإنسان يأتيه جرثوم مضعف للكوليرا ، يصنع مصلاً مضاداً .

فلذلك الجرثوم لو عاد بعد سبعين سنة يستطيع الجهاز أن يقدم هذا المصل فوراً هذا أول قسم (الاستطلاع) ، والقسم الثاني تصنيع السلاح ، عندنا فرقة ثالثة فرقة المقاتلين فرقة بكل معنى الكلمة ،

وعندنا فرقة رابعة فرقة المغاوير ، مهمات خاصة ، فأربع فرق فرقة الاستطلاع ، وفرقة تصنيع السلاح ، وفرقة المقاتلين ، الفرقة المقاتلة تأخذ السلاح من العقد اللمفاوية وتذهب إلى الجرثوم فتقاتله .

أحياناً يكون هناك التهاب باليد هذا الالتهاب معركة تمت بين الجرثوم والكريات البيضاء ، يعني أنا أقول : جيش بكل معاني الكلمة ، فرق استطلاع ، فرق تصنيع السلاح أي معامل الدفاع ، فرق مقاتلة ، فرقة خدمات ، مهندسون ، من أجل تنظيف المعركة ، نقل الجثث ، مثلاً ، وهناك فرقة مغاوير ، خمس فرق ، هذا الجيش أكرمنا الله به .

والإنسان إذا انحرف أخلاقياً يُدمر هذا الجيش بمرض الإيدز ، مرض الإيدز أن هذا الفيروس يدمر هذا الجيش ، يقضي عليه كلياً ، ويلبس ثياباً مشابهة له تماماً ، يظن المراقب أنه من فرق الجيش ، فإذا تمكن قضى على الجيش .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (04-12): محبة الله للإنسان تبعده عن المعيشة الضنك

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 18-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

نتحدث بمشيئة الله عن صفات معينة تشقي أصحابها ، تهوي بهم في مهاوي الردى ، يحزنهم الفزع الأكبر يوم القيامة لأنهم فرطوا في حياتهم ، وما قدموا إلا السيئ من أعمالهم ، حديثنا عمن لا يحبهم الله، جعلنا الله وإياكم من أحبابه وأصفيائه اللهم آمين .

فضيلة الدكتور لاشك أن الخسارة جسيمة ، والمصيبة فادحة ، إن قدم العبد على ربه فوجده عليه غضبان ، بداية وقبل الخوض في صفات من لا يحبهم الله ، هل لك أن تحدثنا عن قيمة الحب ، ومعنى أن الله يحب فلاناً ، أو لا يحبه .

المعيشة الضنك تصيب أي مُعرض عن الله عز وجل :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

أستاذ جميل ، إذا أحبك الله هذا يعد قمة النجاح ، إذا وصلت إلى الله وصلت إلى كل شيء ، وإذا أحبك الله أحبك كل مخلوق ، وإذا أحبك الله وفقك ، وأيدك ، ونصرك ، وألقى في قلبك الأمن ، والأمن من الصفات التي تعز على معظم الناس ، إذا أحبك الله وهبك الحكمة ، إذا أحبك الله منحك الرضا ، إذا أحبك الله تولى حفظك ، إذا أحبك الله خدمك أعداؤك .

وتحدثنا عن هذا كثيراً في لقاءات سابقة ، والعكس فإذا وقع العبد في غضب الله وابتعد عن محبته فقد هويته ، فقد أمنه ، فقد استقراره ، شعر بالإحباط ، شعر بالضيق ، يتحرك حركة عشوائية ، ليست

هادفة ، فقد نعمة الأمن ، فقد نعمة التوفيق ، فقد نعمة التأييد ، فقد نعمة النصر ، فقد السعادة النفسية ، فقد الرضا ، عاش حياة صاخبة لكنها في أعماق الإنسان حياة ليست صاخبة ، ولكنها مأساوية ، فلذلك :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[(تفسير ابن كثير]

يكفي أن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

(سورة طه)

المعيشة الضنك تصيب أي معرض كائن من كان ، ولو كان غنياً ، وقوياً تساءل بعض العلماء : كيف تكون المعيشة الضنك للملوك الذين شردوا على الله ؟ وكيف تكون المعيشة الضنك لمن معهم أموال لا تفنى ؟ الجواب : ضيق القلب .

الإنسان يسعد بقلبه ويشقى بقلبه :

الإنسان يسعد بقلبه ، ويشقى بقلبه ، قد يكون في بيت متواضع جداً ، قد يكون في الغار كما كان النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد يكون في الكهف ، وقد يكون في النار كسيدنا إبراهيم ، وفي هذه الأماكن الصعبة كانوا في أسعد حالاتهم لأنهم مع ربهم ، وقد يسكنوا في قصر منيف ، وفي بحبوحة خيالية ، وفي قوة ما بعدها قوة ، وفي صحة تامة ، ويقول أنا أشقى الناس ،

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

هناك كلمة يرددها الدعاة كثيراً ، أنا كنت أرددها ثم أحجمت عن ترددادها ، ثم عدت ورددتها ، هذه الكلمة هي كما يلي : لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها ، حجمت عن ترددادها ، ثم وجدت الذي قال هذه الكلمة كان ملكاً ، هي كلمة صادقة من ملك ، هذا الملك مدفون في جبلة (إبراهيم بن الأدهم)قال : لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف ، الشعر الذي يصح في هذا المقام :

ليتك تحلو والحياة مــريرة ولیتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامـر وبيني وبين العالم خــراب
إذا صحّ منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

* * *

أنا لا أجد عقاباً في الأرض يصيب إنساناً كأي يكون محجوباً عن الله ، لأن الله لا يحبه .

(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)

(سورة المطففين)

الحجب عن الله عز وجل أكبر عقاب يصيب الإنسان في الدنيا :

هذا المنحرف ، الظالم ، المعتدي ، الطاغي ، الذي يؤذي عباد الله ، الذي يبني مجده على أنقاض الناس ، يبني قوته على إضعافهم ، يبني حياته على موتهم ، يبني غناه على موتهم ، يبني عزه على إذلالهم ، هذا في غضب الله ، وفي مقت الله ، وفي لعنة الله والله لا يحبه ، وإذا أحبك الله أحبك كل شيء ، وإذا وقع الإنسان في عمل لا يرضي الله شعر بجفوة ، وشعر بوحشة ، وشعر بضياع ، وشعر بإحباط ، وشعر بقلق ، وشعر بتفاهة ، وهذا مصداق قوله تعالى مرة ثانية :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)

أستاذ جميل ، الذي يشد الإنسان إلى الله هذه الصلة ، هذا الشعور بالود ، هذا الشعور أن الله يحبك ، هذا الشعور أن الله أقوى الأقوياء معك ، هذا الشعور أن الله أغنى الأغنياء معك ، هذا الشعور أن الله أرحم الراحمين معك ، إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

الكلام اللطيف :

((حينما يرجع العبد إلى الله ينادى منادٍ في السماوات والأرض أن هنئوا فلاناً فقد اصطلح مع الله))

[ورد في الأثر]

من أحبه الله عز وجل فاز فوزاً عظيماً :

أحياناً إنسان يعتصم بالله ، الله يعلم صدق نيته ، فتكيده أهل السماوات والأرض ، الله عز وجل يجعل له من بين ذلك مخرجاً ، وأحياناً إنسان لضعف إيمانه ، ولضيق أفقه ، ولشرك متمكن فيه ، يعتمد على مخلوق دون الله ، يعرف الله ذلك من نيته ، عندئذٍ يجعل الله الأرض هوياً تحت قدميه ، ويقطع أسباب السماء بين يديه ، أن يحبك خالق السماوات والأرض القوي ، الغني ، الرحيم ، الذي بيده كل شيء ، بيده مقاليد السماوات والأرض ، بيده كل الأقوياء ، إذا أحبك خالق السماوات والأرض فأنت في قمة النجاح ، وفي قمة الفوز ، وفي قمة التألق ، وفي قمة القوة .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، ذكرنا فيما مضى أن محبة الله سبحانه وتعالى لعباده محبة وصفية وليست شخصية ، من كانت فيه صفة التوبة ، صفة الطهارة ، صفة الإحسان ، أحبه الله ، كائناً من كان ، وفق هذا القانون، فما هو قانون الكره ؟ من الذين لا يحبهم الله ؟

المفسد إنسان لا يحبه الله عز وجل :

الدكتور راتب :

والله ببساطة ما بعدها بساطة لو رجعنا إلى كتاب الله ، أو لو استخدمنا الحاسوب ووضعنا هذا السؤال: إن الله لا يحب ، تأتي قائمة تزيد عن عشرة أنواع من البشر لا يحبهم الله عز وجل ، من هذه الأنواع :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)

(سورة القصص)

الماء صفاته الأساسية أنه لا لون له ، ولا طعم له ، ولا رائحة ، فإذا كان له لون ، أو كانت له رائحة كريهة ، أو كان له طعم غير مستساغ ، نقول ماء فاسد ، هذا مثل .

الله عز وجل خلق الإنسان طاهراً ، أي إفساد ، أن نعلمه الكذب ، أن نعلمه النفاق ، أن نعلم الفتاة التفلت ، أن نعلم الفتاة أن تحب من تشاء ، لا وفق منهج الله ، حينما نغري الإنسان بالخروج عن منهج الله ، حينما نغري الإنسان أن يأخذ ما ليس له ، حينما نغري الإنسان أن يعتدي على أعراض الآخرين ، حينما نغري الإنسان ألا يطيع ربه ، حينما نغري الإنسان أن يلتفت إلى الدنيا ، أن يغب منها ، أن يأخذ المال بأي طريق مشروع أو غير مشروع ، حينما نغري الإنسان ألا يعبأ بهذه القيم التي جاء بها الدين العظيم ، حينما نغري الإنسان أن ينغمس في الملذات إلى قمة رأسه ، عندئذٍ نكون قد أفسدناه .

من وفقه الله لهداية إنسان خير له من الدنيا و ما فيها :

يقابل ذلك :

((يا علي لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس))

[(أخرجه الحاكم عن أبي رافع]

((خير لكَ من حُمْر النَّعَم))

[(أخرجه أبو داود عن سهل بن سعد الساعدي]

خير لك من الدنيا وما فيها ، فكما أن الذي يوفقه الله لهداية إنسان هو في أعلى مقام عند الله ، الذي يفسد إنساناً ، يصرفه عن الله ، هذا وقع في أكبر خطأ يستحق مقت الله وغضبه ، ولعنته ، وبغضه .

فلذلك نعوذ بالله أن يكون الإنسان سبباً لإفساد الخلق .

الأستاذ جميل :

حديثنا اليوم خطر ، فقد يكون أحدنا متلبس بخلق ، بصفة تبعده عن ربه ، كنا نتكلم مع فضيلة الدكتور عن الإفساد ، فضيلة الدكتور ، أليس الإسراف ، المسرف أليس مفرط بالنعم ؟ أليس هو هادر للثروات؟ والمسرفون هؤلاء يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فما هو السرف الذي لا يحب الله صاحبه ؟ .

التبذير و الإسراف :

الدكتور راتب :

هو نحتاج إلى تمهيد ، الشيطان يغري الإنسان بالكفر ، فإن رآه على إيمان وسوس له بالشرك ، إن رآه على توحيد وسوس له بكبيرة ، إن رآه على طاعة وسوس له بصغيرة ، إن رآه على ورع حاول أن يكفر ، أو أن يُشرك ، أو أن يرتكب الكبيرة ، أو الصغيرة فلم يفلح ، بقي معه ورقتان ، الأولى التحريش بين المؤمنين ، فإن لم يفلح بقي معه ورقة رابحة ، وحيدة هو الإسراف ، غرق في المباحات، العلماء فرقوا بين التبذير والإسراف ، التبذير في المعاصي والآثام .

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ)

(سورة الإسراء الآية : 27)

أما الإسراف في المباحات ، فالإنسان حينما يعيش في الدنيا لسنوات محدودة ويمضي كل وقته فيما هو مباح ، لكن يغرق فيه ، فإذا جاءه ملك الموت فقد كل شيء في ثانية واحدة ، فالبطولة أن لا تسرف .

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

(سورة الأعراف الآية : 31)

لم يقل لا تسرفوا في الطعام والشراب ، قال :

(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)

في أي شيء .

الإسراف في أي شيء مذمة للإنسان :

لذلك الإنسان المتوازن معتدل ، في طعامه ، في لباسه ، في أوقات فراغه ، في العلاقات ، في الانطواء ، في أي شيء معتدل ، أما دائماً التطرف يشقي ، والاعتدال يسعد ، ودائماً الفضيلة وسط بين رذيلتين ، الآن التهور صفة ذم ، والجبن صفة ذم ، والشجاعة بينهما ، الإسراف صفة ذم ، والشحّ صفة ذم ، والاعتدال في الإنفاق بينهما ، فالإسراف :

(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)

(سورة الأعراف)

أمضى حياته في زينة حياته الدنيا ، جاء يوم القيامة مفلساً ، للتقريب :

شخص معه مئة مليون فاشترى بستين مليوناً بيتاً ، وبأربعين مليوناً مركبة ، ما عاد معه شيء ، لو اشترى بعشرة ملايين بيتاً ، وبثلاثة مركبة ، واستثمر بقية المئة مليون بربح ألف بالمئة ، يكون عاقلاً . لك هذا المبلغ ، أو معك هذا الوقت ، فإن أمضيته كله في أشياء لا تنفعك بعد الموت فأنت خاسر .

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(سورة الزمر الآية : 15)

الإسراف في أي شيء مذمة للإنسان .

الخاسر الأكبر من غفل عن سرّ وجوده وغاية وجوده :

الإنسان حينما يعرف هدفه ، حينما يعرف سرّ وجوده وغاية وجوده ، حينما يعرف حكمة وجوده في الدنيا ، وجد في الدنيا ليعرف الله ، وليعمل صالحاً يستحق بها جنة ربه يوم القيامة ، فأمضى طول حياته في الطعام والشراب ، وفي القيل والقال ، وفي إضاعة أوقاته ، وفي أشياء لست راقية ، من سفاسف الأمور فهو الخاسر الأكبر ، هذا الذي غفل عن سرّ وجوده ، وغاية وجوده ، لا يحبه الله .

كم أن الأب الذي يرى ابنه في العام الأخير ، وفي فحص مصيري ، ويبنى على امتحانه اختيار فرع بالجامعة ، يمضي وقته مع أصدقائه ، ويأكل ويشرب ، وينام ويستلقي ويتنزه ، بدل أن يجلس ويدرس، فهذا مسرف في حاجاته الجسدية ، الإنسان يأكل ووقته كله في الطعام ، والشراب ، والنزهات ، والنوم المديد ، فهذا مسرف ، إذاً ضيع مستقبله .

إذاً الإسراف صفة يمقتها الله عز وجل .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، أي الفرح هو المذموم ؟ ونحن نقرأ في القرآن الكريم فرحاً ممدوحاً ، كما هو حال الشهداء :

(فَرِحِينَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)

(سورة آل عمران الآية : 169)

ونقرأ في القرآن الكريم فرحاً مذموماً ، كما هو حال المتكبرين .

(إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)

(سورة القصص)

أي عطاء ينتهي بالموت لا يعد عطاء يليق بكرم الله :

الدكتور راتب :

هذا قارون ، الحقيقة الدقيقة : أن الدنيا منقطعة ، مهما بلغت من جمع الأموال الموت ينهي غنى الغني، مهما بلغت من القوة ، سبحان من قهر عباده بالموت ، مهما بلغت من الاستمتاع بالحياة ، دائماً الموت

ينهي قوة القوي وضعف الضعيف ، وغنى الغني وفقر الفقير ، ووسامة الوسيم ، ودمامة الدميم ، وقوة القوي وضعف الضعيف ، ينهي كل شيء .

أنا لا أتصور أن عطاء يكون في الدنيا فقط ينتهي بالموت يليق بكرم الله ، ما دام العطاء إلهي يجب أن يكون أبدياً ، سرمدياً ، فأي عطاء ينتهي بالموت لا يعد عطاء يليق بكرم الله .

فلذلك هذه الدنيا يعطيها لمن يحب ، ولمن لا يحب ، أعطاها لقارون وهو لا يحبه ، أعطاها لعبد الرحمن بن عوف صحابي جليل وهو يحبه ، أعطاها لفرعون وهو لا يحبه ، أعطاها لسيدنا سليمان وهو يحبه ، فهذه الدنيا لا يمكن أن تكون مقياس محبة من الله ، أو عدم محبة .

((ولو كانت الدنيا تَعْدِلُ عند الله جَناح بعوضة ما سَقى كافراً منها شَربة ماءٍ))

[(أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

الأحمق من اختار الدنيا الفانية المنقطعة و نسي الآخرة العليا :

إذاً الدنيا منقطعة ، الآن : قل لي ما الذي يفرحك أقل لك من أنت ، لو إنسان فرح بشيء طارئ ، وزائل ، وسينتهي يكون تفكيره محدود جداً ، إذا الإنسان فرح بشيء ثابت ودائم ، مثلاً لو خيروا إنساناً بين أن يقتني دراجة له ، وأن يركب هذه المركبة ساعة ، الدراجة أفضل لأنها باقية ، لو خُير بين أن يمتلك المركبة ، أو أن يركبها ساعة ، من دون سؤال ، لو خُير أن يركب الدراجة ربع ساعة ، ويمتلك مركبة فارهة ، هكذا .

(وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى)

(سورة الضحى)

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى)

(سورة القصص الآية : 60)

فلما الإنسان يختار الدنيا الفانية ، المحدودة ، ويزهد في الآخرة الممدودة يكون أحمقاً ويستحق غضب الرحمن ، لأنه اختار الأدنى ، اختار الحياة الدنيا ، ولم يختار الحياة العليا .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، لو أعملوا عقلهم لعرفوا ربهم ، ولأحبوه وأحبهم ، ويتكامل العقل مع القلب لينتج إنساناً سوي البنية ، متكامل الشخصية ، إلى المعرفة العقلية بالله سبحانه وتعالى الخالق البارئ المصور.

التلازم بين العقل و القلب :

الدكتور راتب :

بارك الله بكم أستاذ جميل ، دائماً أرى هناك تلازم بين العقل والقلب ، الإنسان إذا عرف الله بعقله أقبل عليه بقلبه ، إن عرف الله بعقله أطاعه بجوارحه ، إن عرف الله بعقله تقرب إليه بالأعمال الصالحة ، الإنسان وحدة لا يتجزأ ، نحن من أجل توضيح المنهج المدرسي نقول عقل وقلب ، هما متداخلان ، فأنت بقدر ما تعرف الله تحبه ، بقدر ما تعرفه تطيعه ، بقدر ما تعرفه تتقرب إليه ، بقدر ما تعرفه تبذل من أجله الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس .

غدة التايموس و وظيفتها في الجسم :

بالجسم غدة صغيرة إلى جانب القلب ، هذه الغدة لو راجعت كتب الطب لمئة عام سبقت وصف هذه الغدة أنه لا وظيفة لها إطلاقاً ، لأنها تضمر بعد سنتين ، ثم اكتشف قبل عشر سنوات أنها أخطر غدة في جسم الإنسان ، هي مدرسة حربية ، الكريات البيضاء المكلفة بالقتال ، نحن في لقاء سابق تحدثنا عن أن الكريات بعضها للاستطلاع ، فرق الاستطلاع ، بعضها فرق تصنيع السلاح ، بعضها فرق الخدمات ، بعضها فرق المغاوير ، وقلنا هناك فرق المقاتلين ، فرقة المقاتلين عنصر معه سلاح فتاك ، لكن لا يعرف من هو الصديق ، ومن هو العدو ، يسميها العلماء الخلية التائية الهمجية ، جاهلة ، الكريات البيضاء المكلفة بالقتال تدخل إلى هذه الغدة ، كُبرت آلاف المرات ، فإذا هي كالمدرج الروماني ، وهذه الخلايا المقاتلة تجلس على مقاعدها وكأنها في مدرج ، تتلقى لسنتين معلومات دقيقة جداً ، علمية دقيقة ، من هو العدو ؟ ومن هو الصديق ؟ كي تستخدم هذا السلاح لقتل العدو والدفاع عن الصديق ، لكن هناك مدرسة وهناك جامعة ، يوجد امتحان ، هناك مخرجان امتحانيان ، تعطى هذه الخلية البيضاء سؤالاً ، أي عنصر عدو ، فإذا قتلته تنجح ، وإن لم تقتله ترسب ، وتُقتل ، لا يوجد رسوب ، هناك نجاح أو قتل ، ثم تعطى عنصراً صديقاً ، فإن قتلته ترسب وتقتل ، وإن لم تقتله تنجح .

غدة التايموس أخطر غدة في الجسم :

هذا الجيل المتخرج يتولى تعليم الأجيال إلى نهاية الحياة ، لذلك بعد سنتين ، بعد أن تعلم الجيل الأول تنتهي مهمة هذه الغدة ، وتضمر ، وتتلاشى ، الجيل الذي تخرج يتولى تعليم الأجيال اللاحقة ، تباعاً . لكن للعلماء ملاحظة ، أنه بعد سن الستين أو السبعين ، يضعف التعليم ، إذا ضعف التعلم صار في

ارتباك ، يسمونه خلل مناعي ، أو خرف مناعي ، أي حرب أهلية ، فهذا العنصر الذي معه سلاح فتاك بدل أن يوجهه للعدو يوجهه للصديق ، أحد الأمراض الناتجة عن هذه الحرب الأهلية ضمن الجسم عنصر معه سلاح فتاك ، معلوماته عن العدو والصديق ضعيفة ، فقد يتجه إلى الصديق فيقتله ، التهاب المفاصل الرثوي ، هذا مرض بسبب أن عناصر المقاتلة (الكريات البيضاء المقاتلة) تتجه لعناصر صديقة تقتلها .

فلذلك هذه الغدة التايموس الصغيرة ، التي إلى جانب القلب ، والتي ظنها الأطباء لمئة عام سابقة أنه لا وظيفة لها ، ثم اكتشف أنها أخطر غدة في جسم الإنسان .

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)

(سورة الإسراء)

إنها تُعلم الكريات المقاتلة من هو الصديق ، ومن هو العدو ، وهذه الوجبة الأولى تتولى تعليم الأجيال الصاعدة حتى نهاية الحياة .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (05-12): الخيانة أوجبت البعد عن الله - الزائدة الدودية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 19-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

حديثنا عن أشخاص زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً .

(وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)

(سورة الكهف)

من هم الذين لا يحبهم الله ؟ ضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي ، فضيلة الدكتور الخيانة مذمومة عقلاً ونقلاً ، والخائن منبوذ ، ولكن ما هو طيف الخيانة التي أوجبت لصاحبها بعداً عن الله ، وبعداً عن محبة الله ؟

الخيانة من أخطر الموضوعات لتناقضها مع أداء الأمانة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل ، يقول الله عز وجل :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)

(سورة الحج)

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)

(سورة لقمان)

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً)

(سورة النساء)

موضوع الخيانة من أخطر الموضوعات ، لأنه يتناقض مع أداء الأمانة ، الأمانة إما أن تؤدى ، وإما أن يخونها الإنسان ، فالله سبحانه وتعالى حينما قال :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)

(سورة الأحزاب الآية : 72)

الإنسان والجن من بين كل المخلوقات قبلا حمل الأمانة ، فلما قبلا حمل الأمانة سخر الله لهما :

(مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

(سورة الجاثية الآية : 13)

وجعل الله الإنسان خليفته في الأرض ، وخلقه لجنة عرضها السماوات والأرض ، وأرسله إلى الدنيا ليتعرف إلى الله ، وليتعرف إلى منهجه ، ليستقيم على أمره ، ليعمل الصالحات تقرباً له ، كي يسعد في جنة إلى أبد الآبدين .

الأمانة التي قبل الإنسان حملها نفسه التي بين جنبيه :

قال العلماء : الأمانة التي قبل حملها الإنسان نفسه التي بين جنبيه ، تعهد في عالم الأزل أن يُعرفها بربها ، وأن يحملها على طاعته ، وأن تتقرب إليه بالصالحات ، كي تسعد بقربه في جنات الآخرة ، هذا هو الأصل .

فالإنسان حينما يخون الأمانة يبقي نفسه جاهلة ، لا يؤمن بالله ، لا يتعرف إلى منهج الله ، لا ينضبط بشرع الله ، بدل أن يتعرف إليه بالأعمال الصالحة يتبغض إليه بالموبقات ، والآثام ، هناك أثر قدسي أورده ابن القيم في مدارج السالكين :

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إليّ صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد ، والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء]

لأنك أيها الإنسان إنسان من بني البشر أنت في عالم الأزل قبلت حمل الأمانة ، ولأنك قبلت حمل الأمانة سخر الله لك

(مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ)

والمسخر له أكرم على الله من المسخر .

أبلغ خيانة أن يخون الإنسان أمانة نفسه و أمانة التكليف:

لذلك :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

أعظم خيانة للأمانة أن يخون الإنسان أمانة نفسه ، أن يخون أمانة التكليف ، أن يبعد عن ربه ، أن لا يلتفت إليه ، أن لا يلتفت إلى منهجه ، أن يعصيه ، هذه الخيانة التي تسبب له شقاء الدنيا والآخرة ، هذه أبلغ خيانة .

فلذلك ورد في القرآن :

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)

(سورة النساء الآية : 58)

الآن من فروع الأمانة ؛ الزوجة أمانة عند زوجها ، الأولاد أمانة عند أبيهم ، المريض أمانة عند الطبيب ، الطالب أمانة عند المعلم ، الموكل أمانة عند المحامي ، الذي يشتري بضاعة أمانة عند البائع، لو دققنا في هذا المفهوم لوجدنا أن هناك أمانات لا تعد ولا تحصى الإنسان مكلف أن يؤديها .

خيانة الأمانة نوعان :

1 ـ أن يخون الإنسان الأمانة العظمى أمانة التكليف :

لذلك أعظم خيانة أن يخون الإنسان أمانة التكليف ، ويأتي بعد هذه الخيانة أن يخون الإنسان أمانة الواجب ، حرفته ، هذا المريض سلم لهذا الطبيب ، هذا الموكل سلم لهذا المحامي ، هذا الطالب سلم لهذا المدرس ، هذا الإنسان سلم لهذا البائع ، هذا المواطن سلم لهذا الموظف ، فخيانة الأمانة نوعان ، أن يخون الإنسان الأمانة العظمى أمانة التكليف .

2 ـ أن يخون الإنسان أمانة الواجب :

أو أن يخون باختصاصه ، و واجبه ، وحرفته ، ومهنته ، الزوجة أمانة ، والأولاد أمانة ، أي شيء أوكلك الله به هو عندك أمانة ، أي شيء أنت قائم عليه فهو عندك أمانة ، أي إنسان ارتبط معك بعمل فهو عندك أمانة ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

عدم اجتماع الكذب و الخيانة مع الإيمان :

الآن ثبت أن هناك علم اسمه علم الطباع ، هناك إنسان مرح ، هناك إنسان يميل إلى أن يكون جاداً دائماً ، يعطي نفسه هالة من الوقار ، هناك إنسان يحب المرح والضحك ، هذا طبع ، هناك إنسان يحب اللقاء مع الناس ، هناك إنسان يحب البقاء وحده في البيت ، هناك إنسان يحب السفر ، هناك إنسان يحب البقاء في بلده ، إنسان ينفق أكثر مما ينبغي ، إنسان أقل إنفاقاً ، إنسان يعتني بهندامه عناية فائقة ، هذه كلها طباع ، وأصحابها على العين والرأس .

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

فالخيانة ليست طبعاً لكنها تتناقض مع الإيمان ، إذا وجدت خيانة ، أو كذباً فاحكم يقيناً أن الذي خان ليس مؤمناً ، لا يجتمع الكذب ولا الخيانة مع الإيمان .

فلذلك مشكلة العالم في الكذب ، لو أن الناس صَدَقوا لكانوا في حال غير هذه الحال ، يقول لك كلاماً ليس قانعاً هو به ، يصف شيئاً وصفاً كي تقنع بشرائه وهو ليس كذلك ، لو ألغينا الكذب من حياتنا لكنا بحال غير هذه الحال ، لذلك :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

من لوازم الخيانة الإثم والعدوان والكبر والاستعلاء :

الإنسان إذا خان الأمانة من الطبيعي أن يقع في الإثم ، أن يقع في المعاصي والآثام ، لأنه لم ينتبه إلى أنه خُلق لجنة عرضها السماوات والأرض ، لم ينتبه إلى أنه خُلق لدار أبدية لا تنتهي ، ظنّ أنه مخلوق للدنيا ، وأن سعادته في أن يمارس هذه الشهوات كما يحلو له .

فالآية من لوازم الخيانة الإثم والعدوان ، من لوازم الخيانة الكبر والاستعلاء ، هذه من لوازم الخيانة ، الخيانة أن تنسى أنك خلقت للجنة ، وأن هذه النفس ينبغي أن تعرفها بربها .

أداء الأمانة تفوق وخيانة الأمانة سقوط إلى أسفل السافلين :

لذلك يوجد بالقرآن الكريم آيات قليلة :

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

(سورة الشمس)

الفلاح ، والنجاح ، والتفوق ، والذكاء ، والعقل ، أن تزكي هذه النفس ، تزكى هذه النفس حينما تعرفها بربها ، وبمنهجه ، وتحملها على طاعته ، وعلى التقرب إليه

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)

(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

(سورة الشمس)

أي دنسها ، أبقاها بعيدة ، شاهدة غافلة ، إذاً الأمانة شيء كبير ، أداء الأمانة تفوق ، وخيانة الأمانة سقوط إلى أسفل السافلين .

لا تصح حركة الإنسان إلا إن عرف سرّ وجوده وغاية وجوده :

لذلك الآيات التي تصف أن الله لا يحب من كان :

(خَوَّاناً أَثِيماً)

(مُخْتَالاً فَخُوراً)

فالذي يخون الأمانة يعتدي ، يقع في الإثم والعدوان ، يتكبر ، يتغطرس ، يتيه على الآخرين ، هذا شيء طبيعي جداً ، فالبطولة أن تعرف سرّ وجودك ، وغاية وجودك ، أن تعرف السبب الذي جئت من أجله .

إنسان سافر إلى بلد ، ماذا يفعل ؟ يقول : أين أذهب ؟ نسأله نحن لماذا أتيت إلى هنا ، إن جئت طالباً اذهب إلى الجامعة ، إن جئت تاجراً ؟ إلى المعامل ، إن جئت سائحاً ؟ إلى المقاصف ، فالإنسان تصح حركته إذا عرف سرّ وجوده ، وغاية وجوده .

الأستاذ جميل :

الخيانة والكذب لا يجتمعان مع الإيمان .

أهلاً بكم مشاهدينا الأعزاء ، نحن نتحدث عن تلكم الأعمال التي أخرجت أصحابها من محبة الله لهم ، وألهتهم الغفلة عن سرّ وجودهم ، فضيلة الدكتور ، الاختيال والفخار صفتان ذميمتان ، ذمهم الباري سبحانه وتعالى وأخرج صاحبهما من العناية الإلهية ، من هو هذا المختال الفخور ؟ .

الحاجات التي أودعها الله عز وجل بالإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الإنسان أودع الله فيه حاجات ثلاث ، أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب حفاظاً على وجوده ، لولا الجوع لمات الناس ، الجوع دافع عجيب ، أودع فيه الحاجة إلى الطرف الآخر ، الرجل إلى المرأة ، والمرأة إلى الرجل ، هذه الحاجة حفاظاً على النوع ، لكن هناك حاجة ثالثة دقيقة جداً ، أودع فيه الحاجة إلى تأكيد الذات ، حفاظاً على بقاء الذكر فالإنسان لو أكل وشرب ، لو تزوج وأنجب ، عنده حاجة ثالثة أن يشار إليه بالبنان ، أن يقول أنا ، أن يعلو على الناس ، أن يؤكد ذاته ، هذه حاجة أساسية جداً ، من عظمة التصميم الإلهي أن أية حاجة أودعها الله في الإنسان جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، يمكن أن تعمل عملاً مشروعاً ، وأن يأتي رزق وفير ، وأن تأكل وتشرب من نعم الله التي أفاض الله بها علينا، ويمكن إن اشتهيت المرأة أن تتزوج امرأة كما ورد في الحديث تسرك إن نظرت إليها ، وتحفظك إذا غبت عنها ، وتطيعك إن أمرتها ، ولود ودود .

الحاجة الثالثة أن تكون متميزاً ، أن تكون متفوقاً ، أن يشار إليك بالبنان ، هذه الحاجة حيادية ، قد تلبى وفق منهج الله ، وقد لا تلبى وفق منهج الله ، المؤمن يلبيها بطاعته لله ، يرفع الله له ذكره ، يعلي قدره ، يلقي محبة الخلق له ، تجده محبوباً ، محترماً ، له هيبته ، الناس يحبونه ، ويخشونه بآن واحد ، لأنه مع الله ، وإذا كان الإنسان مع الله كان الله معه .

الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق :

الإنسان يتفوق بالعمل الصالح ، يتفوق بخدمة الخلق ، يتفوق بالدعوة إلى الله ، يتفوق بإطعام الجياع ، يتفوق برعاية الأيتام ، يتفوق بتعليم الشباب ، يتفوق بتزويج الشباب ، الأعمال التي ترضي الله لا تعد ولا تحصى ، وقد قلت : الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق .

فالإنسان بإمكانه أن يروي هذه الحاجة بالعمل الصالح ، فالله عز وجل يعلي قدره ألم يقل الله عز وجل، يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام :

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

(سورة الشرح)

أنا أرى أن كل مؤمن له من هذه الآية نصيب ، بقدر إيمانه ، وإخلاصه ، واستقامته ، يرفع الله لك ذكرك ، يعني المؤمن له مكانة علية ، نحن في الشام كرمنا علماء القرآن الكريم ، معظمهم فوق التسعين ، عاش عمراً مديداً ، من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت .

تأكيد الذات حاجة حيادية تمارس بالخير أو بالشر :

لذلك الإنسان من خلال الدافع الثالث تأكيد الذات ، يؤكد ذاته بالاستقامة ، بالعمل الصالح ، بخدمة الخلق ، هو في قلوب الناس يحبونه ، ويجلونه ، ويخدمونه ، لأنه أحبهم وأحسن إليهم ، وخدمهم ، الإنسان إذا ما عرف الله ، وما استقام على أمره ، ولا وصل إليه ولا ذاق طعم قربه ، وعنده دافع إلى تأكيد الذات ، إلى أن يكون عالياً ، تجد أنه يتخذ من إيذاء الناس طريقاً إلى أن يخافوا منه ، وأن يتقوا شره ، يشعر بنشوة ، هذه نشوة مرضية أتته لا من خدمة الناس بل من إيذائهم ، وقد ورد في بعض الأحاديث :

((إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره))

[متفق عليه عن عائشة رضي الله عنه]

إما أن يفتخر بماله ، ببيته ، بمركبته ، بمغامراته الآثمة ، برحلاته ، بإنفاقه ، يفتخر بمن حوله ، قد يفتخر بزوجته ، فيسمح لها أن تظهر كل مفاتنها أمام الأطراف الأخرى ، هو يؤكد ذاته ، ويفتخر ، يختال ، يزهو ، يستعلي ، تحقيقاً لحاجة أودعت فيه ، لكن الله أودع هذه الحاجة وجعلها حيادية ، يمكن أن تمارس بالخير أو بالشر ، فالذي ما عرف الله ، ولا استقام على أمره يؤكد ذاته بإيذاء الخلق ، أو يمشي متبختراً ، قارون :

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)

(سورة القصص الآية : 79)

(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)

(سورة القصص الآية : 81)

لذلك هذه الحاجة أساسية في الإنسان ، لكنها يمكن أن تكون طريقاً إلى العمل الصالح ، وإلى هداية الخلق .

أحياناً تجد غنياً كبيراً أنشأ دار أيتام ، عنده ألف طفل ، أقرباء هؤلاء يحبونه .

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)

(سورة النحل الآية : 120)

المحسن في قلوب الخلق ، الذي يقدم للأمة إنجازاً كبيراً يعني هو يقدم شيئاً ثميناً ، الإنسان عبد الإحسان ، تجد أن هذا الغني الكريم ، يلقى من محبة الناس ما لا يوصف ، لا يحتاج إلى حُراس ،

الناس كلهم حُراس له ، أما البخيل يحتاج إلى حُراس ، لأن الناس يطمعون بماله ، لأنه بخل عليهم بماله.

المؤمن إنسان متواضع و الخائن إنسان فخور مختال :

قضية الاستعلاء إما أن تكون من خلال العمل الصالح ، هل نظن أن أحداً كُرم في الأرض من آدم إلى يوم القيامة كرسول الله ؟ مستحيل ، أكرم الخلق على رسول الله .

((سَلُوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكونَ أنا))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هل رأيت مؤمناً إلا وقد كرمه الله ورفع قدره ، ورفع شأنه ، وجعل محبته في قلوب الناس ، هذا شيء طبيعي جداً .

إذاً الحاجة الثالثة تأكيد الذات ، إما أن تكون بالأعمال الصالحة ، بالعطاء ، بالخدمة ، وإما أن تكون بإيذاء الناس ، والسيطرة عليهم ، والانتقام منهم ، لذلك يخافونه ويعظمونه اتقاءً لشره ، هذا نوع من أنواع تأكيد الذات المرضي المنحرف ، فالخائن مختال ، الخائن فخور ، الخائن يفتخر بماله ، بما عنده، بسلطانه ، بمنصبه ، بثروته ، يتبجح ويكسر قلوب الفقراء بهذا التبجح ، فأما المؤمن فهو متواضع .

من آمن بالله رفع قدره و ألقى محبته في قلوب الخلق :

لذلك قالوا : السخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن ، والعدل حسن لكن في الأمراء أحسن ، والحياء حسن لكن في النساء أحسن ، والتوبة حسن لكن في الشباب أحسن .

كل مرحلة ، وكل هوية لها صفة تناسبها ، المؤمن متواضع ، ولأنه متواضع يرفعه الله إلى أعلى عليين .

لذلك :

(أولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ)

(سورة البقرة الآية : 5)

الهدى رفعهم ، أعلى قدرهم ، رفع شانهم ، ألقى الله محبتهم في قلوب الخلق

(أولَئِكَ عَلَى هُدًى)

(أولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

(سورة إبراهيم)

هو في كآبة ، أو في السجن ، أو في مرض نفسي ، أو في سوداوية ، أو في قلق يعني شيء ضمن شيء ، أما الإيمان يرفع قدره .

الأستاذ جميل :

إن العلم فضيلة الدكتور هو خير فضيلة على عظمة الحكيم الخبير ، مشهد علمي يخاطب العقل هو نفسه يأسر القلب ، ويأمر اللسان بأن يوحد الله ، ونحن في برنامج نخاطب العقل والقلب معاً .

الزائدة الدودية من أخطر الأجزاء في جسم الإنسان :

الدكتور راتب :

الحقيقة عندي ملاحظة ، أنا لسنوات طويلة تزيد عن ثلاثين عاماً أدعو إلى الله ، كنت أرفض أن يقال إن في الإنسان زائدة دودية ، أقول مستحيل على كمال الله أن يخلق شيئاً زائداً ، هل تقبل من شركة سيارات راقية جداً أن يكون نتوء بالسيارة ؟ بلا سبب مستحيل ، لا تقبله لإنسان أتقن صنعته ، فكيف بالواحد الديان ، رفضاً قطعياً ، ما الدليل ؟ ما معي دليل علمي ، معي دليل أنا أسميه دليل إيماني ، الخالق العليم ، الخالق الحكيم ، الرحيم ، المتقن لصنعته .

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

(سورة النمل الآية : 88)

لا يعقل أن يخلق في الإنسان زائدة دودية ، زائدة ، هذا جهل بمعرفة الله ، كنت أرفض هذه التسمية ، وكنت أسميها الذائدة الدودية ، الذائدة ؛ المدافعة ، إلى أن جاءني إميل من بلاد بعيدة من أمريكا حول بحث جديد جداً يؤكد أن هذه الزائدة التي يسميها الأطباء وكما أسميها أنا الذائدة ، من أخطر الأجزاء في جسم الإنسان .

الله عز وجل عدله مطلق :

إذاً يجب أن نملك دليلاً إيمانياً ، وأحياناً هناك من ينحرف في أخلاقه ، أو في علاقاته الجنسية ، إلى الجنس المثلي ، في العالي الغربي يتوهمون أن هذا الذي يؤثر الجنس المثلي جيناته خاصة ، إذاً هو إنسان محترم جداً ، لكنه جيناته خاصة ، كأنهم بهذا التعليل السخيف الواهم يبررون لهؤلاء سلوكهم ، إلى أن طلع الرئيس الأمريكي السابق كلنتن قبل أن تنتهي ولايته ، وألقى قنبلة علمية حينما تحدث عن الخارطة الجينية ، وقال : ليس هناك من علاقة بين الجينات ، وبين السلوك .

هل يعقل أن يخلق الله في الإنسان جينات شاذة تدعوه لشذوذ ، ثم يحاسبه عليه ؟ هذا شيء مستحيل ، والدليل إيماني فقط ، لأن الله عز وجل عدله مطلق ، فكيف يحاسب إنساناً على شيء خلقه الله فيه ، هذا شيء يتناقض مع الإيمان ، أنا أستخدم هذه الطريقة حينما أرى أن جهة قوية تريد أن تبني مجدها على أنقاض الشعوب ، أن تبني حريتها على قهر الشعوب ، أن تبني مجدها على أنقاض الشعوب ، أن تبني رخاءها على إفقار الشعوب ، أن تبني عزها على إذلال الشعوب ، أن هذه القوة بحسب الإيمان ، منطق الإيمان أن الله بيده كل شيء ، أقول : إن نجاح خططها على المدى البعيد يتناقض مع وجود الله ، لأن الله عز وجل يقول ، أو ورد عن رسول الله :

((الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، من نازعني واحداً منهما عذبته))

[أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة]

فمستحيل وألف ألف مستحيل أن تستطيع جهة قوية في الأرض أن تبني مجدها على أنقاض الآخرين ، لكن إلى حين قريب قد ينكشف الأمر ، وقد تفرج الأمور إن شاء الله .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (06-12): الوصول إلى محبة رسول الله - الغدة النخامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 20-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

نتحدث بمشيئة الله عن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تخفق القلوب ، وتدمع العيون ، وتستعاد الذكريات ، وتُشحن الهمم ، وتُسأل الصحبة يوم القيامة ، فضيلة الدكتور ، بداية الأنبياء يشكلون العنصر البشري الأهم في تاريخ الإنسانية لماذا الأنبياء دون غيرهم ؟ .

من رحمة الله بالبشر أن الله ذكرهم بمهمتهم و بهدفهم عن طريق الرسل :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكلفه أن يعبده ، وكرمه ، لأنه في الأصل قبل حمل الأمانة ، وجاء به إلى الدنيا ليعرفه ، وليطيعه ، وليتقرب إليه ، حتى يستحق جنة عرضها السماوات والأرض ، لكن الإنسان أودعت فيه الشهوات ، فأحياناً يضعف أمام شهوته فيضل الطريق ، فمن رحمة الله بالبشر أن الله ذكرهم بمهمتهم ، وذكرهم بهدفهم ، عن طريق الرسل ، فأرسل الرسل رحمة منه لعباده ، فالرسل قمم البشر ، لأنهم على اتصال مستمر ، ما الفرق بين النبي والرسول ؟ أو ما الفرق بين النبي والمؤمن؟.

مرة كان الصديق رضي الله عنه يمشي في الطريق ، رأى أحد إخوانه سيدنا حنظلة ، رآه يبكي ، قال له : مالك يا حنظلة تبكي ؟ قال : نافق حنظلة ، قال له : ولِمَ ؟! قال له : أحدنا يكون مع رسول الله وهو

والجنة كهاتين ، فإذا عاد إلى بيته ينسى ، فقال له الصديق من كماله ، ومن تواضعه : وأنا كذلك يا أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ، الآن الشاهد أن النبي الكريم قال :

((أما نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ، ولا تنام قلوبنا ، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة ، لو بقيتم على الحال التي أنتم بها عندي ، لصافحتكم الملائكة ، ولزارتكم في بيوتكم))

[أخرجه مسلم عن حنظلة]

إذاً يتضح أن مقام النبوة ، ومقام الرسالة هو مقام يعني الاتصال المستمر بالله عز وجل ، مقام بشري .

الأنبياء بشر و فحوى دعوتهم واحدة :

بالمناسبة الأنبياء بشر ، لهم خصائص البشر ، ويجري عليهم ما يجري على البشر ، ولكنهم انتصروا على بشريتهم ، فكانوا سادة البشر ، لولا أن النبي بشر ، وله كل خصائص البشر ، وانتصر على بشريته ، لما كان سيد البشر .

فلذلك الآية الكريمة :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

(سورة الروم الآية : 30)

الله عز وجل يأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، هم بشر تجري عليهم كل خصائص البشر ، فلما انتصروا على بشريتهم كانوا سادة البشر ، فالأنبياء قمم البشر ، لكن الأنبياء فحوى دعوتهم واحدة الدليل :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء)

فحوى دعوة الأنبياء جميعاً واحدة ، لذلك :

(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)

(سورة البقرة الآية : 285)

إلا أن المقامات تختلف ، قد تجد خمسة عمداء كليات ، المنصب واحد ، والصلاحيات واحدة ، والخصائص واحدة ، لكن مستوياتهم العلمية متفاوتة ، لذلك :

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

(سورة البقرة الآية : 253)

والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((أنا سيد ولد آدم ولا فخر سَلُوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكونَ أنا))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

الأنبياء قمم البشر في الكمال والأقوياء قمم البشر في القوة :

لذلك يمكن أن نقسم البشر إلى أناس عاديين إن صحّ التعبير يسمون عامة البشر ، وهناك أشخاص يعدون في أعلى درجة من البشر ، لكن هؤلاء الذي يحتلون المراتب العالية يصنفون في زمرتين ، إما أنهم أنبياء ، وإما أنهم أقوياء ، فالأنبياء أول خصائصهم أعطوا ولم يأخذوا ، الأنبياء ملكوا القلوب ، الأنبياء عاشوا للناس ، الأنبياء يمدحون بعد مئات السنين ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأقوياء ملكوا الرقاب ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم .

لذلك أحبّ الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء ، فالناس جميعاً من دون استثناء تبع إما لنبي ، يعني مؤمن ، أو لقوي يعني موظف ، قد يكون موظفاً مؤمناً طبعاً ، قد يكون بعيداً عن الإيمان لكن يستخدم ما أوتي من سلطة لأن يستعلي على من حوله ، فالأنبياء والأقوياء نموذجان ، الأنبياء قمم البشر في الكمال ، والأقوياء قمم البشر في القوة ، الأنبياء هم المُثل ، هم النماذج ، هم القدوة ، من هنا قال الله عز وجل :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)

(سورة الأحزاب)

شفافية رسول الله مطلقة لأنه يشف عن الحقيقة الإلهية :

أريد أن أوضح الحقيقة بمثل : البلور الشفاف النظيف جداً يكاد يختفي وجوده ، وفي حوادث كثيرة إنسان يخترق البلور ، يظنه غير موجود ، فهذه الشفافية لأن شفافية رسول الله كانت مطلقة ، بمعنى أنه يشف عن الحقيقة الإلهية ، لذلك قال تعالى :

(وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ)

(سورة التوبة الآية : 62)

بضمير الغائب المفرد ، لعل قواعد اللغة ينبغي أن تكون الآية : والله ورسوله أحق أن يرضوهما ، حينما جاءت هذه اللفتة بضمير المفرد الغائب ، يعني إرضاء رسول الله عين إرضاء الله ، وإرضاء الله عين إرضاء رسول الله ، وطاعة رسول الله عين طاعة الله ، وطاعة الله عين طاعة رسول الله .

(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)

(سورة النساء الآية : 80)

لذلك محبة رسول الله ليست محبة موازية لمحبة الله ، هي فرع من هذه المحبة لأن النبي شفاف ، النبي ما دعا إلى ذاته أبداً ، دعا إلى ربه ، وشفّ عن الكمال الإلهي ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يُمثل أعلى مستوى من الكمال البشري ، لذلك أمرنا أن نطيعه .

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

(سورة الحشر الآية : 7)

معرفة سنة رسول الله القولية فرض عين على كل مسلم :

هناك نقطة دقيقة جداً : نحن عندنا في علم الأصول قاعدة ، ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض ، الصلاة لا تتم إلا بالوضوء ، الصلاة اتصال ، الصلاة وقوف ، وقراءة ، وركوع ، وسجود ، ولا تتم إلا بالوضوء ، والوضوء فرض ، ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض ، و ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وما لا تتم السنة إلا به فهو سنة ، حينما قال الله لنا :

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)

هذا الأمر ماذا يقتضي ؟ كيف تأخذ عنه ولا تعلم ماذا أعطاك ، إذاً من لوازم هذا الأمر أن تعلم ما الذي أمر به النبي ، وما الذي عنه نهى

(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)

إذاً معرفة سنة رسول الله القولية فرض عين على كل مسلم ، كيف أن المسلم يصلي ، الصلاة فرض عين ، وكذلك معرفة سنة رسول الله القولية فرض عين على كل مسلم ، الآن :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)

كيف يكون النبي لنا أسوة حسنة إن لم نعرف سيرته ؟ كيف كان في بيته ؟ مع أصحابه ؟ في سلمه ؟ في حربه ؟ في فقره ؟ في غناه ؟ كيف كان ؟.

إذاً نحن حينما تحدثنا عن رسول الله يجب أن نعلم علم اليقين أن معرفة سنته القولية ، وسيرته العملية فرض عين على كل مسلم ، حتى يكون منهجاً يتبعه ، وقدوة يقتدي بها

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، لماذا محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء متمم للدين ؟ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

المحبة ليست عملاً إرادياً :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أولاً : المحبة ليست عملاً إرادياً ، لكن المحبة نتيجة ، فما الذي يحصل أولاً ؟ أولاً الإنسان لا يستطيع أن يطبق مبدأ نظرياً مجرداً ، أي الإسلام كمبادئ نظرية ، كإعجاب سلبي لن يكون ديناً فاعلاً ، إلا إذا كان هناك قدوة من بني البشر ، أراه بعيني يأكل ، ويشرب ، ويتزوج ، ويخاف كما يخاف الإنسان ، مثلاً النبي الكريم قال :

((وأوذِيت في الله ما لم يُؤذَ أحد ، ولقد أتى عليَّ ثلاثون من يوم وليلة ، ومالي ولبلال طعامٌ إلا شيء يُواريه إبطُ بلال))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

كان في حصار ، لولا أن النبي بشر ، تجري عليه كل خصائص البشر ، لما كان سيد البشر ، فأنا لا أقنع بمبدأ ، ولا بمنهج ، ولا بدين ، بأفكاره النظرية ، أنا بحاجة إلى مثل يتحرك أمامي .

لذلك قالوا : القرآن كون ناطق ، والكون قرآن صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي .

أنت ينبغي أن ترى إنساناً من بني البشر يشتهي أن يأكل ، ويجوع ، ويشبع ، يشتهي المرأة يتزوج ، يشتهي أن ينام ويستيقظ ليصلي ، لابدّ من إنسان تتمثل فيه دقائق هذا المنهج ، تفاصيل هذا المنهج حتى أقنع به .

الأستاذ جميل :

إذاً لن أطالب أحداً بمحبة النبي عليه الصلاة والسلام لأنها نتيجة ، وعليّ أن أعطيهم المعادلة من بدايتها .

الأنبياء فعلوا المعجزات لأنهم طبقوا بسلوكهم ما قالوه بألسنتهم :

الدكتور راتب :

المحبة ليست عملاً إرادياً ، المحبة نتيجة ، الآن هناك فكرة دقيقة جداً حينما يستقيم الإنسان على أمر الله ، كيف يستقيم ؟ يعني يصدق ، يستقيم يكون أميناً ، يستقيم يكون عفيفاً ، يستقيم يكون منصفاً ، يستقيم يكون رحيماً ، حينما يطبق المؤمن المنهج التفصيلي لهذا الدين ، الآن الإنسان يعجب بمن تفوق عليه فيما هو فيه ، الطبيب لا يعجب بتاجر ، يعجب بطبيب أقوى منه علماً ، التاجر يعجب بتاجر أكبر

منه ، فالإنسان في العادة يعجب بمن تفوق عليه باختصاصه ، فكيف يكون النبي قدوة لنا إن لم نرَ كمالاته ؟ فالمبادئ لا تعيش مُثل.

لذلك آلاف ، آلاف الكتّاب ، والأدباء ، والمفكرين ، الذين تحدثوا عن الأخلاق ، ولكن الأنبياء فعلوا المعجزات ، لأنهم طبقوا بسلوكهم ما قالوه بألسنتهم ، هذه ميزة الأنبياء هم قمم البشر ، وقدوة البشر .

محبة رسول الله نتيجة لمعرفته ومعرفته نتيجة لإيمان المؤمن :

المؤمن حينما آمن بالله ، واستقام على أمره ، له خصائص ، من هذه الخصائص : صدقه ، أمانته ، عفته ، عدله ، إنصافه ، رحمته ، فإذا عاش مع النبي في حياته أو قرأ سيرته بعد انتقاله يرى الكمال المطلق ، يرى التفوق ، يرى الرحمة ، يرى العدل والإنصاف فيحبه ، فالحب ثمرة من ثمار معرفة رسول الله .

كيف أننا قلنا في بداية هذا اللقاء ، أو في بدايات هذه اللقاءات : إن من أعجب العجب أنك تحبه ولا تعرفه ، من أسباب محبة الله أن تعرفه ، ومن أسباب محبة رسول الله أن تعرفه ، فكيف أطالب إنساناً أن يحبه ، ولم يقرأ سيرته ؟ لذلك حينما قال النبي الكريم :

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم))

[الطبراني عن علي]

من السذاجة أن يقول أب لابنه أحب رسول الله ، يجب أن يعلمه سيرته ، أن يعلمه أخلاقه ، شمائله ، تواضعه ، محبته للصغار حتى يحبه ، فالحب عمل لا إرادة ، الحب ميل القلب كنتيجة من معاني الكمال.

إذاً محبة رسول الله نتيجة لمعرفته ، ومعرفته نتيجة لإيمان المؤمن ، لما آمن صار هناك قواسم مشتركة .

أحياناً أستاذ جامعي يجلس مع تاجر كبير ، لا يوجد قواسم مشتركة بينهما ، دخله محدود لكنه غارق بالعلم إلى قمة رأسه ، التاجر دخله فلكي ، لكنه غارق بالمال إلى قمة رأسه ، لا تجد قواسم مشتركة يتجاذب هؤلاء فيما بينهما .

فأنا أرى أن المؤمن حينما يستقيم على أمر الله ، ويتمثل الكمال ، ويرى النبي قمة في الكمال فيحبه ، والحب ليس مفتعلاً ، الحب شيء عفوي .

محبة النبي برهان محبة الله :

من علامات محبة الله عز وجل اِتباع النبي .

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي)

(سورة آل عمران الآية : 31)

أبلغ ، يعني الله عز وجل جعل محبة النبي برهان محبة الله ، لأن النبي الكريم شفاف شفافية مطلقة ، هو دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، هو كان :

(وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)

(سورة الأحزاب)

فأنا أرى أن الإنسان لمجرد أن يستقيم على أمر الله عندئذٍ يقدر رسول الله ، أما غير المستقيم لا يعبأ .

النبي الكريم قدوة لمن سار على منهج الإيمان :

النبي الكريم قدوة لمن ؟ لمن سار على منهج الإيمان ، لمن طبق منهج القرآن ، إذاً النبي العدنان قمة كماله الآية دقيقة ،

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

لمن ؟

(لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)

ما كل إنسان يرى النبي يحب النبي ، الذي يحب المال لا يحب النبي ، يحب المال فقط ، أما الذي يحب الله ورسوله ، بل يحب الله والدار الآخرة ، يحب النبي من لوازم هذا الاتجاه .

الأستاذ جميل :

كلما ازداد العقل تفكراً ونظراً ، شاهد الكون وما يحيط به من آيات وعبر ، وكل ذلك دال على اللطيف الخبير فضيلة الدكتور .

النبي إنسان يوحى إليه معه وحي السماء :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل ، أحياناً العالم الغربي ، إن ذكر النبي الكريم يذكره كعبقري ، يذكره كمصلح اجتماعي ، النبي نبي ورسول ، هذه هويته ، النبي إنسان يوحى إليه ، معه وحي السماء ، النبي مطروح في القرآن أنه سيد الأنبياء والمرسلين .

فلذلك ما الذي يؤكد نبوته ؟ الله عز وجل رحمة بنا ، ومحبة بنا ، أعطاه من الدلائل على صدق نبوته الشيء الكثير .

مثلاً من توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام : أن المسلم إن أراد أن يذبح الذبيحة عليه أن يقطع أوداجها فقط دون أن يقطع رأسها ، توجيه ، النبي عاش قبل ألف و أربعمئة عام في الصحراء ، كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ، أعطى توجيهاً لأصحابه أنكم إذا ذبحتم الدابة لا تقطعوا رأسها ، أبقوا الرأس متصلاً بها ، واقطعوا أوداجها فقط ، بعهد النبي لا يوجد مركز علمي في الأرض يستطيع أن يفسر حكمة هذا الأمر ، ولا بعد خمسين عاماً ، ولا بعد مئة عام ، ولا بعد مئتي عام ، ولا بعد ألف عام ، ولا بعد ألف و أربعمئة عام ، هكذا وجه النبي ، لكن الآن اكتشفت حقيقة مذهلة طبعاً سأوضحها بمثل :

أنا أمشي في بستان ، وجدت أفعى ، ما الذي حصل ؟ انطبعت صورة الأفعى على شبكية عيني ، إحساساً ، الشبكية لا تقرأ الصورة ، نقلتها إلى الدماغ ، إلى مركز الرؤية ، هناك تقرأ الصورة ، كيف تقرأ ؟ في ملفات الأفعى والثعبان ملفات ، طالب درس بالعلوم عن الأفعى ، سمع قصة من جدته عن الأفعى ، رأى مرة أفعى ، رأى أفعى محنطة مثلاً ، فهذه المشاهدات ، والمعلومات ، والدراسات تشكل ملفاً اسمه ملف الأفعى ، فهذا الملف موجود بالدماغ ، فلما انتقلت صورة الأفعى من الشبكية إلى الدماغ، الدماغ قرأ الصورة في ملفات الأفعى والثعبان ، أدرك الدماغ الخطر ، الآن الدماغ ملك الجهاز العصبي أوامره كهربائية يلتمس من ملكة اسمها الغدة النخامية ، ملكة الغدد جميعاً ، هذه الملكة ملكة لأنها ند لند يلتمس منها أن تواجه الخطر .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (07-12): الحب ميل فكيف نحسن استخدامه ؟ ـ ظاهرة انتثار الضوء
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 22-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :
حديثنا اليوم أيها الأخوة ، حديث شوق ، حديث وجد ، نتكلم عن الحب وماهيته ونتعرف إلى حقيقة هذه العاطفة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية ، فكانت المشاعر الدافئة هي التي تعزز وجود الإنسان في هذه الحياة ، هل لكم فضيلة الدكتور أن تحدثونا عن الحب ، وهل لنا أن نرده إلى أصوله ؟.

الإنسان عقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين وأمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .
أستاذ جميل بادئ ذي بدء : عنوان هذه الحلقات المباركة إن شاء الله عقل وقلب ، وقد استنبط هذا العنوان من مقولة علمية رائعة أن الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، وغذاء العقل العلم .
إذاً في فقراتنا القادمة حديث عن العلم ، وعن دور العلم ، وعن أن العلم وسيلة من أكبر الوسائل فعالية لمعرفة الله ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب .

الحبّ حاجة أودعها الله في الإنسان إذا غُذيت أسعدت الإنسان وإن لم تلبَ شعر بالحرمان :

لنبدأ بالحب ، كلمة شغلت الناس جميعاً ، انحرف بها من انحرف ، واستقام بها من استقام ، ولكن الحب أساسه حاجة أودعها الله في الإنسان ، هذه الحاجة إذا غُذيت أسعدت الإنسان ، وإن لم تلبَ شعر الإنسان بالحرمان ، بالحاجة ، قال تعالى كما تفضلت وسألتني عن تأصيل الحب في الإسلام ، قال تعالى :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)

(سورة آل عمران الآية : 14)

كل إنسان على وجه الأرض خلق الله فيه حاجة إلى المرأة ،

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ)

أن ينجب ،

(وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ)

المال ،

(وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ)

كانت خيلاً فأصبحت سيارة ،

(وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ)

المزارع .

(ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

فهذه الشهوات التي أودعها الله فينا ، في الحقيقة الدقيقة أنه ما أودعها فينا إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات .

إذاً هذه الشهوات حاجة حيادية ، حاجة إما أن توظف في الخير ، وإما أن توظف بالشر ، حاجة ونحن نلبيها إما أن نرقى بها إلى أعلى عليين ، وإما أن نهوي بها إلى أسفل سافلين ، فأن تحب المال شيء مركوز في أصل كيانك ، أن تحب الطرف الآخر شيء مودع في أصل كيانك ، أن تحب الأنعام والحرث ، أن تحب مركبة فارهة ، هذه أشياء أودعها الله فينا .

فلذلك الإنسان كائن متحرك بسبب هذه الحاجات التي أودعها الله فينا .

الحبّ حاجة أساسية متغلغلة في أعماق نفس الإنسان :

الآن كلمة حب تأتي من ميل الإنسان لهذه الأشياء ، الحب ميل ، فهذه الطاولة لا تميل لا إلى امرأة ، ولا إلى طعام ، ولا إلى شيء آخر ، بينما الإنسان يميل إلى الطعام يميل إلى المرأة ، يميل إلى العلو في الأرض .

إذاً أساس الحب حاجة أساسية متغلغلة في أعماق نفسك ، هذه الحاجة تدفعك إلى تلبيتها ، في أثناء التلبية يكون الحب ، يكون الميل ، هذا في الأصل التكويني للإنسان ، أي إنسان كائن من كان في أي زمان ومكان ، في القارات الخمس ، من آدم إلى يوم القيامة هذا شأنه ، ولأن هذا شأنه جاءت إشارة قرآنية :

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)

(سورة الأعراف الآية : 189)

أنا حينما أسافر إلى بلاد الشرق والغرب أنطق بهذه الكلمة : الإنسان هو الإنسان في أي مكان وزمان ، كائن محتاج إلى حاجات أودعها الله فيه ، إما أن يلبيها وفق منهج الله فيرقى عند الله ، وإما أن يلبيها على هوى نفسه من دون ضابط من منهج ، أو من قيمة ، أو من دين .

الناس رجلان لا ثالث لهما :

لذلك أنا أرى أن الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم، وتياراتهم ، وميولهم ، كل هذه التسميات التي اصطنعناها نحن ، كل هذه التقسيمات ، دول الشمال ، دول الجنوب ، الأغنياء ، الفقراء ، الأقوياء ، الضعفاء ، الحاكمون ، المحكومون ، المستغِلون ، المستغَلون ، كل هذه التسميات ، أفرغت في القرآن الكريم في نموذجين ، النموذج الأول إنسان عرف الله ، فلما عرفه جعل هذه الحاجات التي أودعها الله فيه ، جعلها وفق منهج الله .

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المعاكس ، لو أنه اتبع هواه ، اتبع شهوته ، لبى هذه الحاجة التي أودعها الله في أعماق كيانه وفق منهج الله لا شيء عليه ، يرقى بهذه التلبية .

إذاً الناس على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم ، وجميع التسميات التي اصطنعها الإنسان ، لا يزيدون عند الله عن نموذجين ، عن فئتين ، الفئة الأولى عرفت الله ، فلما عرفته أوقعت حركتها في الحياة بدافع من شهواتها ، وفق منهج الله ، وبنت حياتها

على العطاء ، فسعدت في الدنيا والآخرة ، عرفت ربها ، وعرفت منهجه ، وأوقعت حركتها في الحياة وفق منهج الله ، أي هذه الشهوات التي أودعها الله فينا ، لباها وفق منهج الله ، اشتهى المرأة فتزوج ، اشتهى المال فكسب مالاً مشروعاً من تجارة منضبطة ، أو من وظيفة أدى فيها واجبه ، أو من خدمة قدمها للمجتمع .

فالفئة الأولى عرفت ربها ، فانضبطت بمنهجه ، وأحسنت إلى خلقه ، بالتعبير المعاصر عندنا كلمة اسمها الاستراتيجية ، فالمؤمن استراجيته العطاء ، يعطي .

صنفان في القمة : الأقوياء و الأنبياء :

لذلك البشر على كثرتهم يقع على رأسهم نموذجان من البشر ، الأقوياء والأنبياء ، الأقوياء أخذوا ، بنوا حياتهم على الأخذ لا على العطاء ، الأنبياء أعطوا ، بنوا حياتهم على العطاء لا على الأخذ ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء عاش الناس لهم ، الأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء ملكوا الرقاب بسلطتهم ، والأنبياء ملكوا القلوب بكمالهم ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم والأنبياء يمدحون في غيبتهم .

لذلك الناس جميعاً من دون استثناء تبع لقوي أو لنبي ، الذي يدفع القوي سلاحه سلطته ، والذي يدفع النبي سلاحه كماله ، من هنا أحب الناس الأنبياء ، وخافوا من الأقوياء .

وكنت أقول دائماً للأقوياء : وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الناس .

الحبّ أن تحب ما سمح الله لك به :

إذاً هذه الحاجات التي أودعها الله في الإنسان بإمكان الإنسان أن يلبيها ، خلال 180 درجة ، جاء الدين أعطاه مئة درجة ، هذا الحيز المسموح به ، هذا الحيز المباح ، هذا الحلال ، فالمؤمن يوقع حركته في حياته ضمن الحيز المسموح به .

لذلك يشعر براحة نفسية وبطمأنينة ، أوضح مثل : تكسب مالاً وفيراً بوجه حلال تسعد بهذا المال ، وتنفقه ، وتسعد بإنفاقه ، المؤمن يلتقي مع زوجته التي أحلّها الله له ويصلي بعدها قيام الليل ، ويبكي في الصلاة ، فهذه الشهوات ما أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .

إذاً الحب أن تحب ما سمح الله لك به ، إن أحببت ما سمح الله لك به ارتقيت عند الله ، وإن أحببت شيئاً ما سمح الله لك به تسقط من عين الله ، لذلك قال تعالى :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

والقلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، ولا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، ولا يعبد غير الله ، ولا يحكم غير شرع الله .

الأستاذ جميل :

هذه العاطفة الغزيرة فضيلة الدكتور لمن يصح أن أسلم قلبي فأحبه محبة خالصة؟

الإنسان مفطور على حبّ الكمال و الجمال و النوال :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم

كنا طلاباً في الجامعة ، في الدراسات العليا ، وكان عندنا أستاذ جامعي في علم النفس له شأن كبير ، وقد أحيل إلى التقاعد ، وأقمنا له حفلاً تكريمياً كبيراً ، قال كلمة لا أنساها قال : أي إنسان لا يجد حاجة إلى أن يُحِب ، أو إلى أن يُحَب ، ليس من بني البشر ، فالحب مركوز بعمق بالغ ، وبشمولية كبيرة في كيان الإنسان ، ولكن البطولة أن تعرف من تحب ، ما منا واحد لا يحب ، شاء أم أبى ، هكذا جُبل ، هكذا فُطر ، هكذا بُرمج ، هكذا ولف ، هذه مصطلحات حديثة ، لكن البطل أن يعرف من يحب ، البطل هو الذي يحب أصل الجمال ، وأصل الكمال ، وأصل النوال .

العلماء قالوا : الإنسان مفطور على حبّ الكمال ، الموقف الكامل ، موقف الوفاء ، موقف الصدق ، موقف الجرأة ، موقف مبدئي ، يشده أبصار الناس ، الإنسان جُبل على حبّ الكمال ، وعلى حبّ الجمال ، لكن نحن حينما نقول جمال لا يقفز إلى الأذهان إلا جمال المرأة هذا خطأ كبير ، هناك جمال الأفعال ، جمال التواضع ، جمال الفهم العميق ، جمال الرقة ، جمال حسن التصرف ، أنواع الجمال في حياتنا لا تعد ولا تحصى ، فالإنسان مفطور على حبّ الجمال ، وعلى حبّ النوال .

لو أن إنساناً أعطاك عطاء ثميناً ، لا تنساه ، تتحدث عنه ليلاً نهاراً ، فإذا أيقن الإنسان أن أصل الكمال، وأن أصل الجمال ، وأن أصل النوال هو الله عز وجل ، فرق كبير بين أن تحب الأصل وبين أن تحب الفروع ، فرق كبير أن تحب كائناً سيفنى ، أو أن تحب الباقي على الدوام .

الإنسان لو أحبّ زوجته ، وهذا حبّ مشروع ، لابد من أن يفارقها بالموت ، أو لابدّ من أن تفارقه هي بالموت ، فلذلك :

((أكثروا من ذكر هادم اللذات ـ مفرق الأحباب ـ مشتت الجماعات))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

في أي حب يتجه إلى كائن أرضي ، هذا الحب سينقطع ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي ، ولكن أخ وصاحب في الله حتى يجمع الله بيننا))

[ابن إسحاق عن بعض آل أبي سعيد بن المعلى]

محبة الله عز وجل أصل الحبّ و كماله :

إذاً البطولة أن تعرف من تحب ، المؤمن وفقه الله لمحبة الله ، لمحبة أصل الكمال ، لمحبة أصل الجمال ، لمحبة أصل النوال .

فلذلك خطه البياني صاعد صعوداً مستمراً ، والموت نقطة على هذا الخط والصعود مستمر ، ما بعد الموت ؟ جنة عرضها السماوات والأرض ، نظر إلى وجه الله الكريم ، في بعض الآثار النبوية أن المؤمنين إذا نظروا إلى وجه الله الكريم يغيبون من نشوة النظر خمسين ألف عام ، النظر إلى وجه الله الكريم ، تؤكده الآية الكريمة :

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)

(سورة القيامة)

وفوق النظر إلى وجه الله الكريم :

(وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة التوبة الآية : 72)

أنت إذا دخلت إلى قصر منيف ، فيه ما لذّ وطاب ، فيه طعام ، فيه بساتين ، فيه ورود ، وفوق ذلك لصاحب هذا القصر وجه يأخذ بالألباب ، وفوق ذلك ترحيبه بك يفوق النظر إلى وجهه ،

(وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ)

فالمؤمن عرف من يختار ، اختار الأبدي ، السرمدي ، اختار الحي الباقي على الدوام ، اختار ربه في جنة عرضها السماوات والأرض .

((ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ، ولا خطر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

بطولة المؤمن وحصافته أن يسعى لمحبة الله ليكون معه في جنته :

أستاذ جميل ، بين الأرض والشمس156 مليون كم ، لو وضعنا واحداً في الأرض وأصفاراً إلى الشمس ، 156 مليون كم أصفار ، وكل ميليمتر صفراً ، كم هذا الرقم ؟! شيء لا يصدق ، هذا الرقم لو وضعناه صورة لكسر عشري ، والمخرج لانهاية قيمته صفر ، فالدنيا بأكملها ، لو عاش شخص 130

سنة ، لو كان أغنى بني البشر ، لو كان في أعلى مقام في بني البشر ، لو جمع أكبر ثروة في الأرض ، لو كان له أولاد نجباء ، زوجات صالحات ، قال هذا كله عند الله صفراً .

((ولو كانت الدنيا تَعْدِلُ عند الله جَناح بعوضة ما سَقى كافراً منها شَربة ماءٍ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن جابر بن عبد الله]

من هنا بطولة المؤمن ، وذكاء المؤمن ، وتوفيق المؤمن ، وحصافة المؤمن أن يسعى لمحبة الله ، ليكون معه في جنة الله .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور بما أنكم ذكرتم هذه الأرقام نريد منكم أن ننتقل من القلب إلى العقل .

المعجزات شهادة الله لأنبيائه السابقين بأنهم أنبياؤه :

الدكتور راتب :

الحقيقة قبل أن نخوض في موضوع الأمور العلمية الرائعة التي تؤكد أن الذي خلق الأكوان ، هو الذي أنزل هذا القرآن ، لابدّ من مقدمة .

أستاذ جميل ، حينما يأتي إنسان ويقول للناس : أنا رسول الله ، معه منهج ، معنى المنهج افعل ولا تفعل ، في شيء حرام ، أكل مال اليتيم حرام ، أكل أموال الناس بالباطل حرام ، العدوان على أعراضهم حرام ، الخمر محرمة ، فالإنسان يقول : أنا رسول الله ومعي منهج ، لأن الناس ألفوا التفلت، وألفوا أن يفعلوا ما يشاؤون ، من دون قيد أو شرط يرفضون هذه الدعوة :

(وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً)

(سورة الرعد الآية : 43)

كيف السبيل إلى أن يشهد الله في عليائه ، الذي لا تدركه الأبصار ، كيف السبيل إلى أن يشهد الله لهذا الإنسان الذي أرسله ، أن يشهد له أنه رسوله ؟ اختار الله جلّ جلاله نظام المعجزات ، يجري على يديه خرقاً لنواميس الكون .

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ)

(سورة الأعراف)

سيدنا إبراهيم ألقي في النار فلم يحترق ، هذه المعجزات هي شهادة الله لأنبيائه السابقين بأنهم أنبياؤه ، هذه مقدمة .

معجزة النبي الكريم معجزة حسية مستمرة لآخر الزمان

لكن لأن النبي عليه الصلاة والسلام هو سيد الأنبياء والمرسلين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، ونبي إلى نهاية الدوران ، ونبي بعثه الله رحمة إلى كل الأمم والشعوب ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله للناس كافة ، وللعصور كافة حتى قيام الساعة ، فلابدّ من معجزة أخرى غير المعجزة الحسية .

أستاذ جميل المعجزة الحسية كتألق عود الثقاب يتألق ثم ينطفئ ، فيصبح خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكبه ، ولكن النبي الكريم لأنه لكل الأمم والشعوب ، ولنهاية الحياة لابدّ من أن تكون معجزته معجزة مستمرة .

لذلك ورد في كتاب الله عدد كبير من الآيات ، من هذه الآيات إشارات علمية إلى اكتشافات سوف تكون بعد ألف عام ، فإذا وجدت كتاباً قبل ألف و أربعمئة عام يشير إلى حقيقة ما كان أحد يعرفها على الإطلاق ، ثم اكتشفت بعد ألف و أربعمئة عام هذا إذاً هذا رسوله .

ظاهرة انتثار الضوء :

الحديث طويل ، وفي حلقات قادمة إن شاء الله نفصل ، ولكن لآتي بمثل واحد :

حينما صعد الإنسان إلى الفضاء الخارجي ، ووصل إلى القمر ، طاقة الهواء 65 ألف كم ، في الهواء ظاهرة اسمها انتثار الضوء ، يعني أشعة الشمس حينما تسلط على الهواء ذرات الهواء تعكسها على ذرات أخرى ، ففي الأرض ، وفي جو الهواء ، وفي أشعة الشمس مكان فيه أشعة الشمس ، مكان فيه ضياء الشمس ، هذه الحادثة الفيزيائية اسمها انتثار الضوء فلما الرائد الفضائي وصل إلى القمر ، وقطع مسافة 65 ألف كم (طبقة الهواء) ثم انتقل إلى طبقة ليس فيها هواء انعدم تناثر الضوء ، فأصبح الجو مظلماً ظلاماً كثيفاً ، فكان هذا الرائد الفضائي يصيح بأعلى صوته ، وكان بالمحطة الفضائية ناسا عالم مصري اسمه فاروق الباز ، قال هذا الرائد الفضائي : لقد أصبحنا عمياناً لم نرّ شيئاً ، افتح القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف و أربعمئة عام ، واقرأ قوله تعالى :

(وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ)

(سورة الحجر)

هذه آية فيها إشارة علمية إلى انعدام انتثار الضوء في الطبقات العليا من الفضاء هذا شيء عُرف الآن بعد أن أُرسلت مركبة فضائية إلى الفضاء .

فلذلك الذي أتمنى أن يكون واضحاً أن في القرآن الكريم عشرات ، بل مئات ، بل ألوف الآلاف فيها إشارات إلى حقائق علمية ، كُشفت الآن .

الملخص : أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (08-12): من استغنى عن محبة الله له عقاب شديد ـ هناك خط في البحر يمنع اختلاط البحرين معاً
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 23-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

الحبّ مصدر سعادة وهناء ، ففيه الرضا ، وفيه القبول ، وفيه الخير لكل الناس ، فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، سؤالي هل يستحق أحد من الموجودات أن يقدم حبه على حب الله سبحانه وتعالى ؟ .

السعادة الحق بيد الله وحده و الخاسر من توجه لغير الله تعالى :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم .

بجهل الإنسان وتوهمه يظن أن مخلوقاً دون الله يسعده ، والحقيقة المطلقة أن السعادة الحق بيد الله وحده ، فإذا التفت إلى الله وأقبلت عليه ، امتلأ القلب سعادة ، قال تعالى :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

(سورة الرعد)

فلذلك أكبر مغبون ، وأكبر خاسر ، وأكبر متورط ، وأكبر مغامر ، وأكبر مقامر من توجه إلى غير الله ، ماذا عنده ؟ ليس عنده شيء ، هذا الذي تؤكده الآية الكريمة :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)

(سورة النساء الآية : 48)

هذا المعنى الدقيق في أن الشرك لا يغفر ، أسوق لتوضيحه هذا المثل :

لو أن إنساناً (نحن في دمشق) تاجراً له في حلب مبلغ ضخم جداً بالملايين ، والذي عليه هذا المبلغ وعده في أحد الأيام إذا أتاه إلى حلب ينقده المبلغ عداً بالتمام والكمال ، ركب قطاراً ، أخذ بطاقة من الدرجة الأولى ، لكن خطأ جلس في مقطورة من الدرجة الثالثة هذا خطأ ، لكن القطار باتجاه حلب ، جلس بعكس اتجاه القطار ، أصيب بالدوار ، هذا خطأ ، لكن القطار متجه إلى حلب ، جلس مع شباب

غير منضبطين ، فانزعج أشد الانزعاج ، هذا خطأ ثالث ، لكن القطار متوجه إلى حلب ، تلوى من الجوع ولا يعلم أن في القطار عربة فيها مطعم ، هذا خطأ رابع ، لكن القطار متجه إلى حلب ، لكن الخطأ الذي لا يغفر ، أن تركب قطار درعا ، ما في شيء .

من أحبّ غير الله عز وجل احتقر نفسه :

إذا توجهت إلى غير الله ، غير الله عبد مثلك ، فقير ، وقد يكون لئيماً ، وقد يكون صاحب أثرة ، وقد يستغلك ، وعند الضرورة لا يستجيب لك ، وقد يملك ولا يستجيب ، وقد لا يملك ، فالخطأ الكبير الفاحش ، الفادح ، المغامرة ، المقامرة ، الغباء ، الحمق ، الخسارة ، الغبن أن تتجه إلى غير الله ، قال تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

لكن عظمة المؤمن :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

(سورة البقرة الآية : 165)

المؤمن يحب الله ، المؤمن لا يليق به أن يجير لغير الله ، يعني أنت حينما تحب غير الله تحتقر نفسك .

((عبدي خلقت لك ما في السماوات والأرض ، ولم أعيَ بخلقهن ، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين ؟ لي عليك فريضة ، ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية))

[ورد في الأثر]

أحب غير الله ، أحب المال ، أحب النساء ، أحب العلو في الأرض ، أحب البيوت الفارهة على حساب دينه ، ارتكب أعمالاً محرمة من أجل المال .

فهذا الإنسان حينما يكتشف أنه خاسر خسارته لا تعوض

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ)

من توجه إلى غير الله و اعتمد عليه وقع في الشرك :

الآن يوجد بالآية ملمح دقيق جداً :

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)

(سورة البقرة الآية : 165)

هؤلاء الذين ظلموا ، وأحبوا غير الله ، هؤلاء الذين أحبوا الفاني ، إما أن تكون عبداً لله ، وإما أن تكون عبداً لعبد لئيم ، هؤلاء الذين توجهوا إلى غير الله ، غير الله ما عنده شيء يقدمه لك ، عنده وعود فارغة ، حتى الشيطان الذي هو سبب غواية الإنسان :

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ)

(سورة إبراهيم الآية :22)

أي ضحكت عليكم .

(وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

(سورة إبراهيم)

توجهوا إلى غير الله ، اعتمدوا على غير الله ، وضعوا ثقتهم بغير الله ، توكلوا على غير الله ، عقدوا آمالهم على غير الله ، خافوا غير الله ، هذا هو الشرك .

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)

(سورة البقرة الآية : 165)

الأنبياء العظام أعقل بني البشر لأنهم وصلوا إلى أصل الجمال :

هو لماذا تاجر بالمخدرات ؟ من أجل أن يسكن قصراً جميلاً ، أن يتزوج بامرأة بارعة الجمال ، أن يركب مركبة فارهة ، حبّه للجمال في البيت ، وفي المركبة ، وفي المزرعة ، وفي المرأة ، دعاه إلى ارتكاب الحرام ،

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ)

أن قوة الجمال

(لِلَّهِ جَمِيعاً)

هو أصل الجمال ، هو الذي منح هذه الطبيعة مسحة من جماله ، هو الذي منح هذه المرأة مسحة من جماله ، هو الذي منح هذا الطفل الصغير مسحة من جماله ، هو الذي أعطى هذا الطعام هذا الطعم الطيب .

فكل جمال في الأرض مشتق من جمال الله ، فالأنبياء العظام هم أعقل بني البشر لأنهم وصلوا إلى أصل الجمال .

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلاً بحبنا

* * *

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا

فما حبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له قد جهلتنا

فأيسر ما في الحب بالصب قتله وأصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

* * *

من أحبّ الله عز وجل وصل إلى كل شيء :

هذا الذي أحب الله وصل إلى كل شيء .

((ابن آدم اطلبني تجدني فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

وأنا أقول دائماً : يا رب ماذا وجد من فقدك ؟ وماذا فقد من وجدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟

إذاً أكبر حماقة ، وأكبر غباء ، وأكبر حمق ، وأكبر خطأ ، وأكبر خسارة ، وأكبر تورط ، وأكبر مقامرة ، أن تحب غير الله ، لأنه حبه سيزول .

وأحياناً تكون المصالح محققة في وقت من الزمان ، يكون الحب مصطنعاً ، فإذا انتهت المصالح انقطعت هذه المحبة ، لكن محبة الله عز وجل محبة دائمة ،

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً)

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور قد يجول في خاطر بعض الناس عبارة مفادها لماذا أحب الله ؟ لاسيما إن كان صاحب هذه المقالة إن كان غنياً يستغني عن ربه ، أو كان قوياً يرى في قوته أيضاً استغناءً عن ربه ، ويقول إنما أوتيته على علم عندي كما جرى مع قارون ، فما قولكم في ذلك ؟.

بطولة الإنسان أن يعرف أن الله عز وجل على كل شيء قدير :

الدكتور راتب :

الحقيقة الذي يتوهم أن الغني بعيد عن معالجة الله إنسان أحمق ، لأن الله عز وجل إن صحّ التعبير خياراته مع الإنسان لا تعد ولا تحصى ، فالذي يعتمد على ماله يسوق الله له شدة لا يجدي معها المال .

أعرف إنساناً أنا أظنه صالحاً ، ولا أزكي على الله أحداً ، قال لي مرةً : الدارهم مراهم ، تحل بها كل المشكلات ، فابتلاه الله بمشكلة جعلته في المنفردة 64 يوماً ، ويأتيه كل يوم آلاف الخواطر ، هل تحل هذه بالمال ؟ الذي اعتمد على ماله يؤدبه الله بمشكلة لا تحل بالمال .

أعرف إنساناً آخر في أعلى درجة من التألق ، شهادات عليا ، دخل فلكي ، فجأة أصيب بفقد بصر ، زاره صديقه ، وصديقه صديقي ، قال له : والله يا فلان أتمنى ألا أملك من الدنيا إلا هذا المعطف ، وأن أجلس على الرصيف أتسول ، وأن يرد لي بصري .

من اعتمد على ماله أدبه الله بتأديب لا ينفع فيه المال ، من اعتمد على مكانته وعلى منصبه أدبه الله بشيء تحار فيه العقول .

فالبطولة ألا تصل مع الله إلى طريق مسدود ، البطولة أن تعرف أن الله على كل شيء قدير ، وأن الناس في قبضة الله كانوا أغنياء أو فقراء ، الإنسان في قبضة الله .

الخاسر من وصل مع ربه إلى طريق مسدود :

الذي يتوهم أن المال يحميه من قضاء الله وقدره إنسان جاهل ، لكن كما قال بعضهم : عرفت الله من نقض العزائم ، إنسان يريد أن يعيش حياة بالغة الرفاه .

أعرف رجلاً له دار لهو (سينما) ابن أخته تلميذي ، أصيب بمرض خبيث في مقتبل حياته ، فكان في زيارة خاله فبكى ، قال له : جمعت أموالاً طائلة كي أستمتع بها في الحياة فإذا المرض يداهمني ، وأحيل بيني وبين الاستمتاع بهذا المال ، هذا المال جمعه على حساب أخلاق الشباب ، وإفساد الشباب ، وعلى حساب صمود الشباب ، أمام المغريات .

لذلك الله كبير ، فأنت أحببت غير الله وقعت في ورطة كبيرة جداً ، وخسرت الآخرة .

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

(سورة الزمر الآية : 15)

الأستاذ جميل :

نحن على عدة للسادة المشاهدين أن نتابع في غذاء العقل ، من القلب إلى العقل ومعكم فضيلة الدكتور .

لقطات في القرآن الكريم تبين أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

نحن ننطلق من أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، الكون كله يشهد أن هذا القرآن كلامه، من اللقطات الرائعة أن وكالة فضاء كبرى في العالم لها موقع في الانترنيت ، عرضت سورة إذا تأملتها لا تشك لثانية واحدة أنها وردة جورية ، وردة بكل معاني هذه الكلمة ، بأوراقها الحمراء الداكنة ، ووريقاتها الخضراء الزاهية ، وكأسها الأزرق في الوسط ، تأملها جيداً وردة جورية ، كُتب تحتها : صورة انفجار لنجم اسمه عين القط يبعد عن الأرض ثلاثة آلاف سنة ضوئية .

(فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

(سورة المؤمنون)

آية في كتاب الله حار بها المفسرون ، هي قوله تعالى :

(فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

(سورة الرحمن)

أنا أُشهد الله أنه ما من تفسير لهذه الآية أشد دقة من هذه الصورة ، هذه الصورة ظهرت حديثاً قبل عشر سنوات ، أما هذه الآية نزلت قبل ألف و أربعمئة عام .

في القرآن الكريم سبق علمي وإشارات إلى أشياء لم تكن معروفة وقت نزول الوحي :

إذاً كلام الله عز وجل فيه أدلة أنه كلام الله ، من هذه الأدلة ما يسمى بالإعجاز العلمي ، أو بالسبق العلمي ، فلقطات في القرآن الكريم تبين أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن . إنسان يركب طائرة حديثة جداً ، ولتكن 777 ، في الدرجة الأولى ، مقاعد وثيرة أمامه الصحف والمجلات ، أنواع الأطعمة الفاخرة ، أنواع المشروبات الفاخرة ، طبعاً قهوة وشاي ، كل شيء ، الانترنيت أمامه ، محطات الفضاء أمامه ، يفتح كتاب الله ليقرأ :

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا)

(سورة النحل الآية : 8)

طبعاً هو يركب طائرة ، فيها أربعمئة راكب ، على ارتفاع 43 ألف قدم ، مكيفة ، طعام نفيس ، شراب نفيس ، صحف ، مجلات ، محطات فضائية ، أخبار ، أين الحمار والبغل من هذه الطائرة ؟ هو يقرأ قرآناً ،

(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا)

(وَزِينَةً)

(سورة النحل الآية : 8)

أما حينما يتابع الآية يخر لله ساجداً :

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة النحل)

هذا كلام الله ، في وقت نزول الوحي كانت الخيل والبغال والحمير ، لكن في عصور لاحقة تكون الطائرة ، واليخت ، والباخرة ، وما إلى ذلك ، والسيارة ،

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

لأنه كلام خالق السماوات والأرض ، لأن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، جاءت تتمة الآية

(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

إذاً في القرآن الكريم سبق علمي وإشارات إلى أشياء لم تكن معروفة وقت نزول الوحي إطلاقاً .

الإعجاز في القرآن الكريم سبيل المسلم ضد الطرف الآخر :

أستاذ جميل ، القرآن طافح بهذه اللقطات ، هذه تؤكد أن القرآن كلام الله عز وجل ولن تستطيع أن تواجه إنساناً معترضاً على كلام الله ، إلا بهذه الأدلة ، مثلاً الله عز وجل يقول :

(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

(سورة الروم)

من معاني هذه الآية أن كلمة

(أَدْنَى)

تشير إلى أخفض مكان في الأرض ، قبل اكتشاف أشعة الليزر ما كان الإنسان يعرف أي مكان في الأرض أشد انخفاضاً ؟ أما الآن هذه الأشعة يقيسون بها بعد الأرض عن القمر بالمليمترات ، يرسلون أشعة إلى القمر ثم ترتد إليهم ، الآن مع المهندسين جهاز ليزري ، تطلق أشعة إلى الحائط وتعود ، يقول لك الجدار يبعد عنك 3 أمتار و83 سنتيمتر ، و4 ميلي ، بعد اكتشاف أشعة الليزر تبين أن أخفض مكان في الأرض هو غور فلسطين ، أنا سافرت إليه ، في الطريق لوحة كتب عليها 6 متر تحت سطح

البحر ، أخفض منطقة في العالم هي غور فلسطين ، وتؤكد الدراسات الداخلية أن معركة الروم والفرس كانت في غور فلسطين ، قال تعالى :

(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

الأستاذ جميل :

مع أنها إشارة عابرة فضيلة الدكتور ، وليست مقصودة لذاتها .

الدكتور راتب :

فحوى دعوة الأنبياء واحدة لأنها من مصدر واحد :

هناك بهذه الآية ملمح رائع جداً ، أن هناك مشتركاً بين المسلمين وبين أهل الكتاب لهذا المشترك أثبت الله فرح الصحابة بانتصار الروم على الفرس ، لولا هذا المشترك لما كان من معنى لإثبات فرح الصحابة ، أنت بعيد عن معركة ، طرفان ، الطرف الأول هم الروم أهل الكتاب ، والطرف الثاني الفرس ، قال تعالى :

(غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

هذا معنى قوله تعالى :

(لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ)

(سورة البقرة الآية : 285)

الأنبياء جميعاً جاؤوا من مشكاة واحدة ، قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

(سورة الأنبياء)

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ)

أي فحوى دعوة الأنبياء واحدة ، لأنها من مصدر واحد ، هذه الآية تؤكد هذه الحقيقة ، وفرح الصحابة الكرام بانتصار الروم يؤكد المشترك العقدي بين المسلمين وبين أهل الكتاب .

التفكر في آيات الله تعالى طريق الإنسان للوصول إلى إعجاز القرآن الكريم :

هناك أدلة كثيرة تؤكد أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن ، قال تعالى :

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)

(سورة الحج)

الذي يذهب إلى بيت الله الحرام ، قد يأتي من مكان بعيد ، فجاءت الآية :

(مِنْ كُلِّ فجٍّ عَمِيقٍ)

أنت تتوهم كلمة بعيد أوضح ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج بعيد فإذا بالآية تقول

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فجٍّ عَمِيقٍ)

لأن الأرض كرة ، ولأنك إذا ابتعدت عن إحدى نقاطها ، لم يكن الخط مستقيماً ، بل كان منحنياً ، لذلك قال تعالى :

(وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فجٍّ عَمِيقٍ)

والعمق يؤكد كروية الأرض ، الأرض ليست مسطحة ، إنها كرة ، هناك أدلة كثيرة تشعر أن هذا القرآن كلام الله ، أن هذا القرآن وحي الله ، أن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مثلاً : الله عز وجل حينما أمرنا أن نفكر في خلق السماوات والأرض والآية الأصل في هذا الموضوع:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

(سورة آل عمران)

وجود خط في البحر يمنع اختلاط البحرين معاً آية من آيات الله تعالى حيرت العلماء :

من هذه الآيات :

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

(سورة الرحمن)

أيضاً هذه الآية أوقعت علماء التفسير في حيرة ، ماذا تعني ؟ أحد رواد الفضاء حينما اقترب من الأرض بسفينته الفضائية ، رأى خطاً بين كل بحرين ، هو خط وهمي ، خط تمايز اللونين ، هذه الرؤيا سُجلت ، أحد علماء البحار تابعها ، إلى أن اكتشف أن مياه كل بحر لا يمكن أن تختلط بمياه البحر الآخر ، بين كل بحرين حاجز ، لم تُعرف طبيعته حتى الآن ، لكل بحر ملوحته ، ومكوناته ، وكثافته ، ولا يمكن أن تختلط مياه البحر بمياه الآخر ، وهذا يبدو جلياً في الفواصل بين البحار ، في قناة السويس، وفي باب المندب ، وفي جبل طارق ، وفي خليج البوسفور ، حتى إن العلماء نزلوا إلى قاع البحر عند

هذه الفواصل الحرجة ، فإذا بجدار بين البحرين هذا الجدار عندي له صور دقيقة جداً ، إذاً هذه الآية التي حيرت العلماء

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَان * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَان * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان)

نعود ونقول إن الذي خلق الأكوان ، هو الذي أنزل هذا القرآن .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (09-12): كيف نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، السائل الأمنيوسي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 24-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :
فضيلة الدكتور لقد أحب أصحاب النبي النبي فزاد إيمانهم وانتشى ، وأقاموا الدليل على صدق محبتهم سلوكاً وأعمالاً ، فنهضت بهم محبتهم إلى خير القرون قرني ، كيف نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

محبة رسول الله فرض عين أساسها أن تقرأ سيرته و ترى كمالاته :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أستاذ جميل بادئ ذي بدء : الإنسان بفطرته يحب الكمال ، فإذا اطلع على سيرة النبي ، وعلى كمالات النبي ، وعلى رحمة النبي ، وعلى حلم النبي ، وعلى إنصاف النبي ، وعلى عدل النبي ، يحبه لكن لابدّ من أن نطلع على سيرته ، وقد قلت قبلاً إن محبة رسول الله فرض عين لكن أساسها أن تقرأ سيرته ، أن ترى كمالاته ، فبادئ ذي بدء أي إنسان على جانب من الفطرة السليمة إذا قرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام يحبه حباً جماً ، بل إن المفكرين الأجانب حينما اطلعوا على بطولة هذا الإنسان جعلوه على رأس المئة الأوائل في تاريخ البشرية ، لكن هناك محبة أخرى يحبها المؤمن ، المؤمن باتصاله بالله ، واشتقاقه الكمال من الله ، وانضباطه بمنهج الله ، أصبح له صفات راقية ، صار صادقاً ، أميناً ، محباً ، عفيفاً ، إلى آخره ، فهذه الصفات تدعو من تفوق فيها إلى أن تحبه هذا شيء آخر ، أي إنسان على فطرة سليمة يحبه ، مثلاً من منا لا يدهش حينما دخل أعرابي على مجلس رسول الله نظر في الجالسين ، قال : أيّكم محمد ؟ ماذا نستنبط ؟ كان مع أصحابه لا فرق بينه وبينهم ، ليس هناك استعلاء، ليس له أماكن خاصة ، ليس له ثياب خاصة ، واحد من أصحابه ، كان متواضعاً ، الأمر الذي دعا هذا

الأعرابي أن يسأل من منكم محمد في روايتين : بعض الروايات يقول أنا ، في رواية أخرى يقول أحد أصحابه ذاك الوضيء ، إذاً كان متواضعاً .

كان مع أصحابه في سفر ، أرادوا أن يعالجوا شاة ، فقال أحدهم : عليّ ذبحها ، وقال الثاني : عليّ سلخها ، وقال الثالث : عليّ طبخها ، والنبي قمة البشر ، زعيم الأمة ، قائد الأمة ، في أعلى مستوى ، قال : وعليّ جمع الحطب ، قالوا : نكفيك ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

ما هذا التواضع ؟ ينبغي أن تحبه من أعماق قلبك .

في معركة بدر كان أصحابه حول الألف ، والرواحل ثلاثمئة راحلة فقط ، أصدر أمراً كقائد جيش ، زعيم أمة ، نبي أمة ، قال : كل ثلاثة على راحلة ، يتناوبون عليها ، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، ركب الناقة فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً قال ما أنتما بأقوى مني على السير، كان رياضياً ، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر .

تواضع النبي عليه الصلاة والسلام :

هذا الإنسان ألا تحبه ؟ ألا يموت الإنسان حباً له ؟ لذلك أحبه الصحابة حباً يفوق حدّ الخيال ، وكل مؤمن يقرأ سيرته يبكي مئات المرات ، يبكي لهذه الشخصية الفذة لكمالها ، لتواضعها ، مثلاً امرأة تقمُّ المسجد ، وهل في السلّم الاجتماعي عمل أدنى من أن يقمَّ الإنسان مكاناً ، هذه المرأة توفيت فالصحابة الكرام تصوروا أن شأن هذه المرأة لا يرقى إلى مستوى أن يعلموا النبي بموتها ، فالنبي سأل عنها قالوا: ماتت ، غضب قال : هلا أعلمتموني وذهب إلى قبرها وصلى عليها وهي في قبرها استثناءً .

هذا النبي العظيم الذي يهتم بالصغار ، بالأطفال ، بالفقراء ، بالضعاف ، بمن يقمون المسجد ، هذه العظمة فلذلك كيف لا نحبه ؟

كان إذا صلى وسمع طفلاً يبكي يختصر صلاته رحمة بالأم التي يناديها ابنها بالبكاء ، لذلك لما فتح مكة قال أبو سفيان : ما أعقلك ، وما أحلمك ، وما أرحمك ، وما أوصلك ، لما فتح مكة معه عشرة آلاف مقاتل ، والسيوف متوهجة ، وتنتظر إشارة من فمه لتنتهي حياة هؤلاء الذين ناصبوه العداء عشرين عاماً ، حاربوه مرات ثلاث ، ونكلوا بأصحابه ولم يدعوا سبيلاً للتنكيل بأصحابه إلا فعلوه ، ثم انتصر عليهم :

((ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

عظمة النبي الكريم و حلمه :

أستاذ جميل ، أيعقل أن يمشي النبي عليه الصلاة والسلام على قدميه ثمانين كيلو متراً في صعود لا يحتمل إلى الطائف ليدعو أهلها إلى الإيمان ، ليكونوا هداة مهديين ، فيكذبونه ، و يسخرون منه ، ويشتمونه ، ويغرون صبيانهم أن يضربوه ، تصور النبي ، سيد الأنبياء ، سيد المرسلين يضرب فقال :

((يا رب ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولك العتبى حتى ترضى ، لكن عافيتك أوسع لي))

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

لكن أراد الله عز وجل أن يظهر عظمة هذا الإنسان :

جاءه ملك الجبال ، وقال له :

((إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ))

[متفق عليه عن عائشة]

يعني الله عز وجل مكنه أن ينتقم :

((فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))

[متفق عليه عن عائشة]

نحن عندنا نص مع التحليل يبدو أنه ما تخلى عن قومه ، اللهم اهدِ قومي ، ودعا لهم ، واعتذر عنهم ، إنهم لا يعلمون ، وتمنى على الله أن يخرج من أصلابهم أولاداً يوحدون الله ، هذا هو الكمال ، كيف لا نحبه ؟ كيف لا نموت حباً به ؟ لكن لابدّ من قراءة سيرته ، يعني إنسان ما قرأ السيرة إطلاقاً وغارق بشهواته وبجمعه للمال إلى قمة رأسه هذا كيف يحب النبي عليه الصلاة والسلام ؟

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (21))

(سورة الأحزاب)

كمال النبي عليه الصلاة والسلام و أخلاقه الكريمة :

النبي عليه الصلاة والسلام وقف موقفاً علمياً رائعاً ، هذا الموقف لما كسفت الشمس ، وقد رافق هذا الكسوف موت ابنه إبراهيم ، الصحابة الكرام من شدة محبتهم للنبي الكريم توهموا أنها كسفت من أجل إبراهيم ، لأنه حريص على التوحيد ، فخطب النبي بأصحابه وقال : إن الشمس والقمر آيتان لا ينبغي أن تنكسفا لموت واحد من خلقه ولا لحياته ، وقف موقفاً علمياً .

صحابي من أصحابه في أثناء الهجرة ألقي القبض عليه ، فقال لمن قبض عليه : عهد الله إن أطلقتموني لن أحاربكم ، فأطلقوا سراحه ، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وسرّ به سروراً عظيماً ، بعد حين

كانت غزوة ، هذا الصحابي دون أن يشعر نسي وعده ، فانخرط مع الجنود ، قال له النبي : ارجع ، ألم تعاهدهم ؟

ما هذه الدقة ؟! أنا أقول والله لو فهم الصحابة الكرام الإسلام كما يفهمه المسلمون اليوم والله ما خرج الإسلام من مكة ، لبقي في مكة فقط ، أما أن يصل إلى الصين إلى الأندلس بهذه الأخلاق .

أرسل النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة ليقيّم تمر خيبر ، أغروه بحلي نسائهم كرشوة كي يخفف التقييم ، فقال : والله جئتكم من عند أحبّ الخلق إلي ، ولأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير ، ومع ذلك لن أحيف عليكم ، فقالت اليهود : بهذا قامت السماوات والأرض ، وبهذا غلبتمونا .

والآن درس لن نستطيع أن ننتصر على أعدائنا الأقوياء إلا بالعودة إلى الدين الصحيح ، إلى الكمال الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور هل إثباتنا لمحبة النبي عليه الصلاة والسلام بكثرة الصلاة والسلام عليه بذكر لساني فقط أم أن هنالك بعد آخر ؟

الصلاة على النبي أن تقف على كمالاته و أن ترى رحمته :

الدكتور راتب :

أنا أتصور أن الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام يعني أن تقف على كمالاته ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام مهبط تجليات الله ، أنا حينما أذكره وأذكر كماله تسري إليّ هذه التجليات ، ما دليلها ؟

دليلها قول النبي عليه الصلاة والسلام :

لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي ، أنت حينما تلتقي بمؤمن تشعر براحة ، حينما تلتقي مع مؤمن تشعر بطمأنينة ، حينما تلتقي مع مؤمن تذكر الله ، حينما تلتقي مع مؤمن تتمنى أن تتوب ، حينما تلتقي مع مؤمن تتمنى أن تقرأ القرآن ، حينما تلتقي مع مؤمن في بعض الآثار ، أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم .

مثلاً مؤمن عادي له صلة بالله ، له التفاتة إلى الله عز وجل ، مستقيم ، طاهر ، عفيف ، صادق ، أمين، هذا مؤمن فكيف إذا التقيت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن فاتك أن تلتقي به في حياتك فكيف إذا قرأت سيرته وتمثلت هذا الكمال وهذا التواضع و هذه الرحمة ؟ فلذلك أنا أفهم الصلاة على النبي أن تقف على كمالاته ، أن ترى رحمته ، لأن الله يتجلى عليه ، للتقريب ، تصور مولدة كهربائية ضخمة جداً يأتيها مئة ألف فولت ، أي اتصال مع هذه المولدة نأخذ منها الكهربائي ، مجمع كهربائي

ضخم يتلقى أعلى درجة من التوتر الكهربائي ، فأي إنسان اتصل بهذه المولدة اشتق تياراً كهربائياً رائعاً تحل به مشكلاته .

صلاة المؤمنين على النبي الكريم تمدهم بنورانيته صلى الله عليه وسلم :

الله يصلي على النبي أي يتجلى عليه ، ويا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ، صلاتكم أنتم اشتقاق منه ، وصلاة الله عز وجل عطاء له ، هو يعطيه وأنتم خذوا مما أعطيته ، لذلك ورد في بعض الآثار الله المعطي وأنا القاسم .

هذا بعض الفهم ، فهم اجتهادي لأمر الله عز وجل :

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (56))

(سورة الأحزاب)

مهبط تجليات الله ، يا أيها الذين آمنوا اشتقوا منه الكمال ، أنا قدمت مثالاً عن مؤمن عادي إن جلست معه تشعر براحة ، بطمأنينة ، أو تتمنى أن تكون مثله ، أو تسعى إلى طلب العلم ، إلى قراءة القرآن ، فكيف إذا أتيح لك أن تكون مع سيد الأنام ؟ هذه الصلاة في حياته أن تلتقي به ، وأن تحبه ، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى يعني ذلك أن تتابع كمالاته كي تحبه أيضاً .

الأستاذ جميل :

يعني انظرونا نقتبس من نوركم ، صلاة المؤمنين على النبي عليه الصلاة والسلام تمدهم بنورانيته صلى الله عليه وسلم .

العنف لا يزول إلا بزوال الظلم والقهر :

الدكتور راتب :

الآن العالم يعاني من العنف ، أنا معجب بموقف فعله النبي عليه الصلاة والسلام دخل رجل إلى بستان أنصاري ، وأكل من شجرهِ من دون إذن صاحبه ، فساقه إلى النبي على أنه سارق ، فابتسم عليه الصلاة والسلام : هلا علمتَه إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمتَه إن كان جائعاً .

قبل أن تقول سارق ، قبل أن تنتقم ، قبل أن تعاقب ، أنت مقصر بحقه ، هلا علمتَه إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمتَه إن كان جائعاً ، قبل أن تقول لماذا العنف ؟ هل سأل الأقوياء هؤلاء الضعاف لماذا يفعلون هذه الأفعال ؟ من شدة الظلم ، من شدة القهر ، لذلك العنف لا يزول إلا بزوال الظلم ، زوال القهر ،

النبي عليه الصلاة والسلام علمه قال : قبل أن تقول أنه سارق هلا علمتَه إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمتَه إن كان جائعاً .

الاعتصام بالله عز وجل سبب نجاة الإنسان :

هناك شيء آخر النبي عليه الصلاة والسلام حينما رأى أن الإنسان يتيه في هذه الدنيا أمره أن يعتصم بالله ، ليكون هذا الاعتصام سبباً لنجاته ، مثلاً في الطائف كُذب قال له سيدنا زيد : يا رسول الله أتعود إلى مكة وقد أخرجتك ؟ فقال إن الله ناصر نبيه .

في مكة حوصر ثلاث سنوات حتى أكل أصحابه أوراق الشجر وهو واثق من النصر ، أثناء الهجرة أهدر دمه مئة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، أين معنوياته ؟ إنسان دفع لمن يقتله أو لمن يأتي برأسه أو لم يأتِ به حياً ، الناقة ثمنها مليون في ذلك الوقت شيء ثمين جداً ، تبعه سراقة ، قال له النبي الكريم : يا سراقة كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ ما هذا الكلام ؟ أنني سأصل سالماً ، وسأنشئ دولة ، وسأنشئ جيشاً ، وسأحارب أكبر دولتين ، وسأنتصر عليهما ، وسوف تأتيني غنائم كسرى إلى المدينة ، ويا سراقة لك سواري كسرى . ما هذه الثقة ؟ أنا الآن أقول أخطر شيء يصيب المسلمين ضعف ثقتهم بربهم ، وضعف ثقتهم بدينهم ، هم في امتحان صعب جداً ، هذا الامتحان يقوى فيه الطرف الآخر ، يقوى ويقوى حتى يقول ضعيف الإيمان أين الله ؟ ثم يظهر الله آياته حتى يقول المنحرف لا إله إلا الله ، نحن في امتحان صعب جداً .

الله عز وجل يكافئ المؤمن مكافأة من جنس عمله :

على كل هناك شيء آخر ، أيضاً يعد حلاً لمشكلتنا :

((إنما تنصرون بِضُعَفَائِكُمْ))

وفي رواية :

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))

[البخاري عن سهل بن سعد]

يعني هذا الضعيف هلا أطعمته إن كان جائعاً ، كسوته إن كان عارياً ، آويته إن كان مشرداً ، عالجته إن كان مريضاً ، زوجته إن كان أعزباً ، أنصفته إن كان مظلوماً ، ما الذي يحصل ؟ الآن الله عز وجل يكافئ المؤمن الذي أعطى هذا الفقير ، يكافئه مكافأة من جنس عمله ، ينصره على من هو أقوى منه ، أنت حينما تعتني بمن هو أضعف منك يكافئك الله بأن ينصرك على من هو أقوى منك ، فنحن أمام

أعداء كثر ، أمام أعداء أقوياء ، فما السبيل بحسب سنة النبي عليه الصلاة والسلام لأن ننتصر عليهم ؟ أن ننصر الضعفاء ، أن نزيل الظلم ، أن نزيل الضعف في مجتمعنا ، أن نزيل الفقر ، الحاجة ، البطالة، البطولة للمسلمين أن يحلوا مشكلات مجتمعاتهم ، هناك بطالة مرتفعة ، أمية مرتفعة ، أزمة زواج ، الشباب بحاجة إلى سكن ، وإلى عمل ، وإلى زواج ، فحينما نحل مشكلاتنا القوي يصغي إليّ:

((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ))

[البخاري عن سهل بن سعد]

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور آيات بينات وحقائق جليات إذا صدمت العقل فلا تستقر إلا بالقلب وهي خير معين على إثبات وجود الصانع الحكيم .

الغشاء الأمينوسي :

الدكتور راتب :

الحقيقة كما أقول دائماً ، الإنسان كل لا يتجزأ كيف يقبل على الله ؟ إذا عظمه ، ألم يقل في بعض الآثار :

((ذكرهم بآلائي ، ونعمائي ، وبلائي))

[ورد في الأثر]

يعني ذكرهم بآلائي كي يعظموني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني ، وذكرهم بنعمائي كي يحبوني ، يعني الجنين محاط بأغشية في رحم الأم ، محاط بأغشية ثلاثة ، الغشاء الذي يلي الجنين ، هناك غشاء داخلي وغشاء أوسط وغشاء خارجي ، الغشاء الذي يلي الجنين اسمه الغشاء الأمينوسي ، هذا الغشاء مغلق ، وفي هذا الغشاء سائل يغطي الجنين بأكمله اسمه السائل الأمنيوسي ، لولا هذا السائل لما كان هذا اللقاء ، ولما كانت دمشق ، ولما كان إنسان في الأرض ما هذا السائل ؟

وظائف السائل الأمينوسي :

هذا السائل يغذي الجنين ، يمتص الصدمات ، أحياناً الأم تمشي مسرعة ترتطم بطاولة تدخل الطاولة في بطنها فيجب أن يموت الجنين فوراً ، لكن هذا السائل يوزع الضربة على السطوح بأكملها ، هذا السائل طبق بالمركبات الفضائية ، السائل يمتص الصدمة ويوزعها على كامل سطح الرحم من الداخل، هو أولاً يغذي ، ثانياً يسهل حركة الجنين ، ثالثاً يمتص الصدمات ، رابعاً يسهل عملية الولادة .

هذا السائل ينزل مسبقاً فيسهل عملية الولادة عن طريق الانزلاق ، وهذا السائل يعقم المجرى الذي سيسلكه الطفل إلى خارج بطن أمه ، يسهل ، يعقم ، يغذي ، يسهل الحركة ، ما هذه الحكمة ؟ هذا هو السائل الأمنيوسي لولاه لما عاش إنسان على وجه الأرض .

عظمة الخالق سبحانه :

كلما قرأنا ما في كتب الطب ، قرأنا ما في كتب الفيزياء ، ما في كتب الكيمياء ، ما في كتب الفلك ، أنا أتمنى أن نقرأ هذه الحقائق العلمية قراءة إيمانية ، مثلاً لولا أن هناك أملاح للمعادن كيف نأكل الحديد ؟ الجسم بحاجة إلى حديد ، بحاجة إلى كلس ، هذا عظم عنق الفخذ يعد أمتن عنصر في الجسم ، هذا العظم عنق الفخذ ، هذا يتحمل مئتين وخمسين كيلو ، العظمان خمسمئة كيلو ، الإنسان القوي المتين قد يتحمل حمولة نصف طن عن طريق عنق الفخذ من أين جاءت هذه القوة وهذه المتانة ؟ بشرب الحليب، معنى ذلك الكالسيوم كمعدن له أملاح ، موجودة في الحليب ، تأتي بتفاحة تقطعها بعد دقيقة تسود معنى هذا فيها حديد ، من جعل أملاح المعادن ؟ الطفل الجنين لا يوجد بحليب أمه حديد ، أودع الله في طحاله كمية حديد تكفيه سنتين ، شيء مذهل أنت حينما تقرأ هذه الحقائق يجب أن تعظم خالق السماوات والأرض ، هذا التعظيم هو الإيمان ، فالإيمان يخدم الطاعة والاستقامة ، حينما نعرف من هو الآمر نتفانى في طاعته ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (10-12): من سيرة الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملاق الإسلام ، والسماء ذات الرجع
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 25-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

حديثنا عن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي معه ، وكان عصرهم ـ رضوان الله عليهم ـ قد انتهى سنة عشر ومئة ، بوفاة آخر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الطفيل عامر بن واثلة ، ضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، فضيلة الدكتور نحب صحابة النبي عليه الصلاة والسلام إذا عرفنا سيرتهم ، فهل لنا بالحديث عن أمثلة على ذلك ؟

عملاق الإسلام عمر بن الخطاب :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، بلغني أنه في لندن مكان يزار كثيراً كتب على مدخله كهف العدالة ، هذا المكان تخليد لهذا الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان كما يصفه بعضهم بأنه عملاق الإسلام ، هذا الصحابي ينفرد من بين الصحابة بتفوقه في رحمته وفي عدله ، كان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله وخاصته ، وقال : إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ، فصارت القرابة من عمر مصيبة .

أي قريب عمر مبتلى بهذه القرابة ، حسابه شديد جداً ، خطأه فادح .

صور من حياة سيدنا عمر رضي الله عنه :

ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ الحقيقة سيدنا عمر وضع يده على جراح الأمة ، قال : أقطع يده بحسب الحكم الشرعي ، قال : إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، مهمة الحاكم ، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعاصي ، ما هذا الفهم لمهمة الحاكم ؟ إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، حق العمل ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية ، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، سيدنا عمر مشى ببلدة ، فرأى كل الفعاليات ليست من المسلمين ، فعنفهم تعنيفاً شديداً لغيرته عليهم ، فاحتجوا كما يحتج أغنياء المسلمين الذين وجدوا أنفسهم مع ثروات طائلة ، فقالوا: إن الله سخرهم لنا ، فقال سيدنا عمر : فكيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم ، أدرك هذا الخليفة الراشد في وقت مبكر جداً أن المنتج قوي وأن المستهلك ضعيف .

أحياناً دولة نامية تدفع أجرة تعمير محرك طائرة خمسة ملايين دولار ، أربع محركات عشرون مليوناً أي مليار ليرة ، كم طن قمح وكم طن قطن ؟ يبيعوننا بسعر فلكي بعقود إذعان ، ونقدم لهم موادنا الأولية بسعر بخس ، فلذلك قال : كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم .

زهد عمر بن الخطاب و محاسبته لنفسه حساباً عسيراً :

مرة رأى إبلاً سمينة ، سأل خليفة المسلمين هذا السؤال قال : لمن هذه الإبل ؟ قالوا : هي لابنك عبد الله ، فغضب أشد الغضب ، قال : ائتون به ، جاؤوا به ، وجده غاضباً ، قال : لمن هذه الإبل ؟ قال : هي لي يا أبتِ ، اشتريتها بمالي ، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن ، فماذا فعلت ؟ أين الخطأ ؟ انزعج سيدنا عبد الله ، قال له : و يقول الناس : ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا بن أمير المؤمنين ، علمت لماذا هي سمينة ؟ لأنك ابني، بع هذه الإبل ، وخذ رأسمالك ، ورد الباقي إلى بيت مال المسلمين .

بلغه مرة أن بعض الولاة فشت له فاشية ، يعني له في مسكنه ، في ملبسه ، في مركبه ، في بيته ، ما ليس لعامة الناس ، فقال له أما بعد فقد فشت لك فاشية ، أرسل له كتاباً في هيئتك وملبسك ومطعمك ومشربك ليست لعامة المسلمين ، احذر يا عبد الله أن تكون كالدابة مرت بواد خصب فجعلت همها في السمن وفي السمن حتفها .

كان يحاسب نفسه حساباً عسيراً ، مرة وضع له طعام نفيس فبكى وقال : بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطيبها وأكل الناس كراديسها ، مرة في عام المجاعة اشتهى اللحم فقرقر بطنه ، قال كلمة رائعة مخاطباً بطنه : قرقر أيها البطن أو لا تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين .

كان في أعلى درجات الورع ، لذلك مرة جاءه رسول عامله على أذربيجان ووصل المدينة ليلاً ، وكره أن يطرق باب أمير المؤمنين ودخل إلى المسجد فسمع إنساناً يصلي ويبكي ويقول : ربي هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها ؟ فقال هذا الزائر من أنت يرحمك الله ؟ قال أنا عمر ، قال أمير المؤمنين ؟ يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ فقال : أنا إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي .

تأدب عمر بن الخطاب و أخلاقه العالية :

هذا الصحابي الجليل كان مع أحد الصحابة عبد الرحمن بن عوف يتفقد شؤون المدينة ليلاً ، رأى قافلة قد حطت ركابها في ظاهر المدينة فقال لسيدنا عبد الرحمن تعال يا عبد الرحمن نحرس هذه القافلة ، أمير المؤمنين ، سمع بكاء طفل صغير في أحد الخيام ، قال لأمه أرضعيه رحمة به ، فبكى ثانية نبه أمه ، فبكى ، فغضب ، كان عصبي المزاج قال : أرضعيه ، فغضبت المرأة ، قالت : ما شأنك بنا ؟ إني أفطمه ، قال ولما ؟ قالت : لأن عمر لا يعطي العطاء إلا بعد الفطام ، تروي الروايات أنه ضرب جبهته وقال كلمة صعق لها : ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ ثم أصدر أمراً جديداً لجعل التعويض العائلي مع الولادة لا مع الفطام ، وصلى الفجر في أصحابه لم يفهم أصحابه قراءته من شدة بكائه ، لكنه دعا فقال يا رب هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي أم رددتها فأعزيها ؟

هذا العملاق كان يقول : والله لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها ، لَمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر ؟

مع هذا التفوق كان أديباً أدباً جماً ، في أول خطبة ألقاها بعد تسلمه منصب الخلافة ، وقف في الدرجة العليا من المنبر كشأن أي خطيب في التاريخ الإسلامي ، لكنه فاجأ الناس نزل درجة ، فقال : ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلا لمجلس أبو بكر ، سيدنا عثمان لحكمة بالغة نزل درجة ثم عاد إلى ما كان عليه ، وقد سأل خليفة أموي وزيره : لمَ لم ينزل درجة ؟ قال : أما والله لو فعلها لكنت في قعر بئر .

هذا الصحابي الجليل صحابي فذّ ، وبطل عظيم ، والأمة الإسلامية تفخر به .

الأستاذ جميل :

نحن نتحدث عن عملاق الإسلام عمر بن الخطاب فضيلة الدكتور .

الدعوة إلى الله دعوتان دعوة إلى الله خالصة ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله :

الدكتور راتب :

مرة كان مع أصحابه ، قال أحدهم : والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله ، فغضب غضبة لا حدود له ، وأحدّ فيهم النظر ، إلى أن قال أحدهم : لا والله ، لقد رأينا من هو خير منك ، فقال : من هو ؟ فقال: أبو بكر ، قال : كذبتم جميعاً وصدق ، عدّ سكوت أصحابه كذباً ، فقال : كذبتم جميعاً وصدق ، والله كنت أضلّ من بعيري ، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك .

هكذا كان الود بين أصحاب رسول الله ، هكذا كان الحب بين أصحاب رسول الله ، هكذا كانت التضحية بين أصحاب رسول الله ، لذلك نحن بحاجة إلى الحب ، نحن بحاجة إلى التعاون لا التنافس ، أنا أقول دائماً أستاذ جميل الدعوة إلى الله دعوتان دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع لا الابتداع ، والدعوة إلى الذات من خصائصها الابتداع لا الاتباع ، هو يبتدع حتى يقول أنا الوحيد ، أما المؤمن الصادق يتبع ولا يبتدع ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها التعاون ، بينما الدعوة إلى الذات من خصائصها التنافس ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاعتراف بالآخر ، والدعوة إلى الذات من خصائصها إلغاء الآخر .

الحب و التعاون و الرحمة بين أصحاب الرسول الكريم :

لذلك مرة كان سيدنا عمر وزير العدل في عهد الصديق ، يبدو أن هناك قضية أحالها إليه ، فسيدنا عمر ارتأى أن يرفض طلب هذا المستدعي ، فذهب هذا الإنسان لسيدنا الصديق ليوقع بينهما ، قال للصديق الخليفة أنت أم هو ؟ فقال هو إذا شاء ، لا يوجد مشكلة ، نحن بحاجة إلى هذا الحب وهذا التعاون ، فلذلك سيدنا عمر حينما وقف هذا الموقف دعمه الصديق .

سيدنا عمر وهو على المنبر كان يخطب ، قطع الخطبة بلا مبرر ، وقال : " يا عُمير كنت راعياً ترعى على قراريط لبني مخزوم ، وأكمل الخطبة ، شيء غريب ، ليس هناك داعٍ لقطع الخطبة ، فلما نزل سُئل : " يا أمير المؤمنين لمَ قلت ما قلت ؟ " ، قال : جاءتني نفسي فقالت لي : أنت أمير المؤمنين، ليس بينك وبين الله أحد ، يعني أنت قمة المجتمع ، أردت أن أعرفها نفسها حيث كنت راعياً أرعى الإبل على قراريط لأهل مكة .

كان تواضعه جمّ ، مرة الناس خافوا من شدته ، كان شديداً فطمأن الناس قال : أيها الناس قد أضعفت ، أحياناً يكون الأب شديد ، الأم رحيمة ، هو كان مع رسول الله شديد النبي رحيم ، مع الصديق هو شديد الصديق رحيم ، الآن الأمر بيده ، قال : اعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت لكنها إنما تكون على أهل البغي والعدوان ، أما أهل الطاعة والتقوى فأنا أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف .

فقه عمر في علم العقيدة :

مرة قال والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباءتي هذه ، ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى ، سيدنا عمر كان طموحاً كان يقول : أريد أميراً ، أعطى مواصفات للأمير مذهلة ، أريد أميراً ، إن كان أميراً حقيقة من شدة تواضعه بدا وكأنه واحد من أصحابه ، كما قال الأعرابي أيكم محمد ؟ وإن لم يكن أميراً بدا وكأنه أمير ، من شدة غيرته على المصلحة العامة ، يؤمر نفسه ، هذه صفات رائعة جداً .

أريد أميراً (إن كان أميراً من تواضعه بدا وكأنه واحد من أصحابه ، وإن لم يكن أميراً بدا وكأنه أمير، من شدة غيرته على المصلحة العامة) هذه مواصفات الأمير عنده ، وكان فقيهاً في علم العقيدة . شارب خمر سيق إلى سيدنا عمر فقال : أقيموا عليه الحدّ ، قال : والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر عليّ ذلك ، أراد أن يوظف القضاء والقدر ليبرر معصيته ، وما أكثر المسلمين الذين يحتجون بالقضاء والقدر ليغطون تقصيرهم ، يقصر لا يدرس ، لا ينجح ، يقول لك : هذه مشيئة الله ، الله عز وجل ما أراد لي النجاح ، هذا كذب وهذا دجل ، أنا أقول دائماً أنت حينما تأتي بالأسباب كاملة ويحال بينك وبين النتائج لك أن تقول ساعتئذ حسبي الله ونعم الوكيل ، فكان سيدنا عمر عملاق الإسلام فقيهاً قال : أقيموا عليه الحدّ مرتين ، مرة لأنه شرب الخمر ، ومرة لأنه افترى على الله ، قال : ويحك يا هذا ، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار .

الإنسان حرّ في أعماله لولا هذه الحرية ما ثُمّن عمله :

أكد أن الإنسان حر في أعماله لولا هذه الحرية ما ثُمن عمله ، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، إن الله أمر عباده تخييراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، فهمه عميق جداً .

سيدنا سعد أستاذ جميل كان من أكبر أصحاب رسول الله ، كان إذا دخل على النبي عليه الصلاة والسلام ، النبي يهش له ويبش ، يقول له مداعباً :

((هذا خالي ، فَلْيُرِنِي امرُؤٌ خالَه))

[الحاكم في المستدرك عن جابر]

ما كان يداعب أحداً كما داعب هذا الصحابي الجليل ، هذا خالي أروني خالاً مثل خالي ، وما فدى النبي عليه الصلاة والسلام في حياته صحابي بأمه وأبيه كما فدى سعد بن أبي وقاص ، قال :

((يا سعد ارم فداك أبي وأمي))

[ابن ماجه وأحمد عن علي]

أستاذ جميل استمع إلى ما قاله له عمر رضي الله عنه بعد موت رسول الله ، قال له : يا سعد ، لا يغرَّنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلُّهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له.

يعني فهم عميق لكن أراد أن ينبهه لئلا يجعل من كلام النبي عليه الصلاة والسلام غطاءً للتقصير ، أحياناً إنسان يكون منسوباً لأسرة عريقة هذا النسب يدفعه إلى التقصير في أداء العبادات ، في أداء الأعمال الصالحة .

قال له : لا يغرَّنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلُّهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابةٌ إلا طاعتهم له .

عبادة التفكر والتدبر :

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور عبادة التفكر والتدبر تجعل الإنسان ينطق بقول الحق سبحانه :

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

ماذا في السماوات والأرض ؟

التفاسير العلمية حول قوله تعالى "والسماء ذات الرجع" :

1 - إرجاع بخار الماء مطراً :

الدكتور راتب :

لازلنا نؤكد أن هناك تناغماً بين معرفة الله وبين طاعته فكلما ازددت تعظيماً له ازددت طاعة له ، لأن الله عز وجل حينما تعظم الآمر تعظم الأمر ، إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ،

الله عز وجل يقول :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

(سورة الطارق)

فُهمت في وقت ما على أن السماء ترجع بخار الماء مطراً ، السماء ترجع هذا البخار مطراً ، شيء رائع جداً يعني تفسير علمي لهذه الآية .

2 ـ إرجاع الموجات الكهرطيسية بثاً :

فُهمت في وقت آخر على أن الأمواج الكهرطيسية التي تبث إلى الفضاء الخارجي نحو الأعلى ترجع إلى الأرض ، ما الذي يرجعها ؟ قالوا : هناك طبقة في الجو اسمها الأثير ترجعها إلى الأرض ، ولولا هذه الطبقة لما كان اتصال على وجه الأرض وما كانت هذه الندوة ، هي تبث إلى الفضاء ويستقبلها أصحاب الأجهزة في الأرض ، ما الذي أعاد الموجات الكهرطيسية إلى الأرض ؟ طبقة الأثير .

3 ـ إرجاع الكواكب إلى مكان انطلاقها الأساسي :

الآن سنفهم هذه الآية فهماً آخر :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

(سورة الطارق)

ثم اكتشف أخيراً أن كل كوكب وكل نجم يدور حول كوكب آخر في مسار مغلق ، بمعنى أنه يرجع إلى مكان انطلاقه النسبي وكأنها صفة جامعة مانعة للكون :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

(سورة الطارق)

لذلك هناك من يقول إن الإعجاز العلمي عليه مأخذ ، ما هو المأخذ ؟ أن العلم في تطور مستمر ، من قال لك إن هناك آيات صيغتها عجيبة ، صيغتها تغطي كل التطورات من إرجاع بخار الماء مطراً ، إلى إرجاع الموجات الكهرطيسية بثاً ، إلى إرجاع الكواكب إلى مكان انطلاقها الأساسي فإذا قرأت هذه الآية :

(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)

(سورة الطارق)

تشعر بأنك مع قرآن من عند خالق الأكوان .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (11-12): سيدنا عثمان وعلي عليهم رضوان الله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 26-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

حديثنا اليوم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحدثنا عن أبي بكر وعمر ، ونتحدث اليوم عن سيدنا عثمان وعلي عليهم رضوان الله ، ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، فضيلة الدكتور هل لكم أن تحدثونا عن بقية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

إكرام الله عز وجل سيدنا عثمان بن عفان بالمال :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، الحقيقة أن هناك عبادة اسمها عبادة الهوية ، الذي أكرمه الله بالمال عبادته إنفاق المال ، وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يمثل هذا النموذج ، جهز بماله الخاص جيش العسرة ، واشترى بئراً وجعله وقفاً لكل الناس ، وأنفق إنفاقاً كبيراً حتى إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

اللهم إني أمسيت راضياً عن عثمان فارضَ عنه ، بل قال : ما ضرّ عثمان ما فعله بعد اليوم .

وكان يلقب بذي النورين ، لأنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الغني أمام خيارات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى :

الحقيقة المال قوة ، والله عزّ وجل جعل المال قواماً للإنسان ، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المُؤْمِنُ القويُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ تَعالى مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيف))

[رواه مسلم عن أبي هُريرة رضي الله عنه]

بإمكان الغني أن يعمل الأعمال الصالحة التي يعجز عنها معظم الناس ، بل كلما ازداد مالك ازدادت خياراتك في العمل الصالح ، فمن إنشاء ميتم ، إلى إنشاء مستشفى ، إلى إنشاء مستوصف ، إلى إنشاء

دور للعجزة ، إلى تزويج الشباب ، إلى إنشاء بيوت رخيصة ، إلى إطعام الطعام ، هناك أعمال لا تعد ولا تحصى ، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، الغني أمام خيارات للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى ، ولكن هذا المال أحياناً يصبح دركات يهوي بها الإنسان حينما يسخر للملذات المحرمة ، والانغماس في الأعمال التي لا ترضي الله عز وجل ، فالمال حيادي إما أن يكون سلماً نرقى به أو دركات نهوي بها ، هذا الصحابي الجليل سيدنا عثمان الحيي ، الكريم ، المنفق ، السخي ، يمثل المال في وجوهه الإيجابية ، والنبي أثنى عليه ثناء كبيراً حينما قال : ما ضرّ عثمان ما فعله بعد اليوم .

اللهم إني أمسيت راضياً عن عثمان فارضَ عنه ، زوجه ابنته الأولى فلما توفيت زوجه ابنته الثانية .

الأستاذ جميل :

ماذا عن علي رضي الله عنه فضيلة الدكتور ؟

فصاحة سيدنا علي وحكمته :

الدكتور راتب :

سيدنا علي هو في الحقيقة عالم كبير ، وفصيح فصاحة ما بعدها فصاحة ، قال مرة : " قوام الدين والدنيا أربعة رجال عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم " ، أخطر شيء في حياتنا نصف العالم ، لا هو عالم فيفيد من علمه ، و لا هو جاهل فيتعلم ، خطير جداً ، بل إن بعض الجامعات في بعض الدول المتخلفة هي في الحقيقة جامعة يدخلها الطالب جاهلاً متواضعاً يخرج منها جاهلاً متكبراً ، أضيف له الكبر فقط ، فهذا الصحابي الجليل كان يؤكد : " يا بني العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، يا بني مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ".

بلاغة سيدنا علي رضي الله عنه :

بلاغته رائعة حتى إن كتاب نهج البلاغة ينطق بذلك :

قال : " قوام الدين والدنيا أربعة ؛ رجال عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه " ، واضح الآن في تحريك ، قال : " فإذا ضيع العالم علمه ، أي لا يطبق علمه ، استنكف الجاهل أن يتعلم ، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره " .

ما الذي يزهد الناس في العلم ؟ أن يكون أناس امتهنوا العلم كمهنة وكحرفة ، قال الإمام الشافعي : " لأن أرتزق بالرقص أفضل من أن أرتزق بالدين ".

فهذا الصحابي الجليل سيدنا علي له كلمات رائعة ، قال :

" و الناس ثلاثة ، عالم رباني ، موصول بالله ، مستنير بنور الله ، مخلص ، ورع ، و متعلم على سبيل نجاة ، القسم الثالث : و همج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ، و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق ، فاحذر أن تكون منهم ".

صار في عالم رباني ومستمع على سبيل نجاة وهمج رعاع ، بعضهم يقول :

ما الناس سوى قوم عبدوك ، وغيرهم همجٌ همجُ .

هذا الصحابي الجليل يقول : " رُكّب الملك من عقل بلا شهوة ، وركّب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركّب الإنسان من كليهما ، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان ".

هذا الصحابي الجليل في بعض الروايات تؤكد أنه في أعلى درجة من العلم ، والفصاحة ، والبيان ، وكان شاباً صغيراً حينما دخل في الإسلام ، هذه بعض خصائص هذين الصحابيين الجليلين اللذين ينتميان إلى منظومة الخلفاء الراشدين .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ذكرنا الصحابة ونريد أن نذكر الصحابيات ، فهناك صحابيات فاضلات نريد أن نسمع منكم عنهن .

السيدة خديجة المثل الأعلى للزوجة الصالحة الوفية :

الدكتور راتب :

والله أنا أذكر رواية عثرت عليها لكن تأثرت لها كثيراً ؛ أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة، دعته بيوتاتها ليبيت عندهم فقال لهم : لا ، انصبوا لي خيمة عند بيت خديجة ، وركز لواء النصر أمام قبرها ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر هي شريكته في النصر .

عاش معها ربع قرن وكانت في سن أمه ، وكان وفاؤه لها منقطع النظير ، مرة تداعبه السيدة عائشة :

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ : فَغِرْتُ يَوْماً فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْراً مِنْهَا ، قَالَ : مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْراً مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاس))

[أحمد عن السيدة عائشة]

وفاؤه عجيب ، أما لو اطلعنا على سيرة هذه الصحابية الجليلة السيدة خديجة لرأينا العجب العجاب ، أنا أتمنى من الأخوة المشاهدين أن يعدوا هذه المرأة المثل الأعلى للزوجة ، كانت زوجة من الطراز الأول، فلذلك أكرمنا الله بهذه النماذج البشرية الراقية .

عظمة تربية الأولاد في الإسلام :

لكن هناك قصة قد لا تصدق ، النبي عليه الصلاة والسلام خطب امرأة لتكون زوجة رسول الله ، زوجة سيد الأنبياء ، بالتعبير المعاصر لتكون السيدة الأولى فاعتذرت ، الاعتذار لا يصدق ، سألها النبي عليه الصلاة والسلام لما ؟ قالت : لي خمسة أولاد ، أخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهم ، وأخاف إن قمت بحقهم أن أقصر بحقك ، يعني هذه الصحابية من المستوى الإيماني الرفيع بحيث لم تقبل أن تكون زوجة وهذا الزواج يعفيها من المسؤولية ، مسؤولة أمام الله ، لذلك ورد في بعض الروايات :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلها))

[الأدب المفرد للبخاري]

يعنيني من هذا الحديث كم هي عظيمة تربية الأولاد في الإسلام .

أولادنا الورقة الرابحة والوحيدة التي بقيت في أيدينا :

أنا أقول دائماً أولادنا الورقة الرابحة ، وأحياناً أقول الوحيدة ، التي بقيت في أيدي المسلمين فنحن يمكن أن نواجه القنبلة الذرية بقنبلة الذرية :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ (21))

(سورة الطور)

فهذا الصحابية الجليلة اعتذرت عن أن تكون السيدة الأولى من أجل تربية أولادها وهذا درس بليغ لكل أمهات المسلمين .

الأستاذ جميل :

نتابع الحديث لكن عن التابعين ، التابعون الذين يمثلون الحلقة الثانية في سلسلة النور التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توظيف التابعي الجليل عمر بن عبد العزيز منصبه الرفيع لآخرته :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل سيدنا عمر بن عبد العزيز من كبار التابعين ، وكان خليفة المسلمين ، بل عُدّ بحق خامس الخلفاء الراشدين ، هذا الخليفة كان زاهداً قال مرة : تاقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها قال : تاقت نفسي إلى الجنة .

هذا التابعي الجليل وظف منصبه الرفيع وهو المنصب الأول لآخرته ، للعمل الصالح ، قد يتوهم الناس أن المناصب تتناقض مع التدين ، لا أبداً ، هذا التابعي الجليل سيدنا عمر وصل إلى أعلى درجات القرب من الله وهو في أعلى منصب تسلمه وهو خلافة المسلمين .

أرسل أحد الولاة إلى سيدنا عمر رسالة قال فيها : يا أمير المؤمنين ، إن أناساً اغتصبوا مالاً ليس لهم ، لست أقدر على استخراجه منهم إلا أن أمسهم بالعذاب ، يعني نعذبهم حتى يعترفوا ، فإن أذنت لي فعلت، استأذنه في تعذيب بشر ، فأجابه عمر : يا سبحان الله ! أتستأذنني في تعذيب بشر ؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله ؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله ؟ أقم عليهم البينة ، معك أدلة ، معك مستمسكات ، معك إيصال ، معك تصريح ، معك إقرار ، فإن قامت فخذهم بالبينة ، فإن لم تقم فادعهم إلى الإقرار ، فإن أقروا فخذهم بإقرارهم ، والإقرار سيد الأدلة ، فإنْ لم يقروا فادعهم لحلف اليمين ، فإذا حلفوا فأطلق سراحهم ، وأيم الله ، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم .

ما هذه الحرية والديمقراطية إن صحّ التعبير ؟ ما هذه القنوات الشرعية لأخذ الحقوق ؟ هكذا كان فهم هذا التابعي الجليل .

من الطرف أن أحدهم قال لمن هو إلى جانبه ، أقطعني سليمان بن عبد الملك أراضٍ واسعة وجاء عمر بن عبد العزيز رحمه الله فانتزعها مني ، دون أن يشعر ترحم على من انتزعها منه ولم يترحم على الذي منحه إياها ، لأن العدل أساس الملك .

ورع الحسن البصري و استغناؤه عن دنيا الناس :

كان هذا التابعي الجليل من الورع بمكان ، لذلك نحن عندما نرى مثل هؤلاء نرى الناس بخير ، أستاذ جميل الحسن البصري أيضاً من كبار التابعين سئل مرة بما نلت هذا المقام ؟ فقال بحاجة الناس إلى علمي واستغنائي عن دنيا الناس ، متى يرتفع العلم ؟ إذا كان العالم مستغنياً عن دنيا الناس وكان الناس بحاجة إلى علمه ، فإذا انعكست الآية إذا استغنى الناس عن علم العالم ، وكان هو بحاجة إلى ما عند الناس سقط العلم ، لذلك مرة كان هذا التابعي الجليل "الحسن البصري" عند والي البصرة ، فجاء توجيه

من الخليفة يبدو أنه لو نفذ أمر الوالي لأغضب الله عز وجل ، ولو لم ينفذه لأغضب الخليفة ، وربما عزله ، فوقع في حيرة من أمره ، وعنده الإمام الجليل الحسن البصري ، قال له : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .

لذلك هذا التابعي الجليل الحسن البصري أدى رسالة العلم ، بيانه أغضب الحجاج ، فقال لجلسائه يا جبناء والله لأروينكم من دمه وأمر بقتله ، وجاء بالسياف وجيء بالنطع ومُدّ ولم يبق إلا قطع رأسه ، فلما دخل على مجلس سيقتل فيه ، رأى السياف ينتظر ، والنطع قد مُدّ فحرك شفتيه بكلام ما سمعه أحد، فإذا بالحجاج يستقبله يقول : أهلاً بأبي سعيد ، أنت سيد العلماء ، ومازال يقربه من مجلسه حتى أجلسه على سريره واستفتاه ، وأكرمه ، وعطره ، وضيفه ، وشيّعه إلى باب القصر ، السياف صُعق وكذلك الحاجب ، تبعه الحاجب قال : يا أبا سعيد ، لقد جيء بك لغير ما فعل بك ، ماذا قلت لربك ؟ قال له : قلت : يا ملاذي عند كربتي ، يا مؤنسي في وحشتي ، اجعل نقمته عليّ برداً وسلاماً ، كما جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم .

هذا الموقف يؤكد مقولته لوالي البصرة إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله .

مرة أبو جعفر المنصور سأل الإمام الجليل أبا حنيفة النعمان ، قال له : يا أبا حنيفة لو تغشيتنا ، فقال : ولمَ أتغشاكم وليس عندكم شيء أخافكم عليه ؟ وهل يتغشاكم إلا ما خافكم على شيء ، إنك إن أكرمتني فتنتني ، وإن أزريت بي فتنتني أيضاً .

فلذلك كان العلم عزيزاً ، والعلماء أعزّوا علمهم فانتفع الناس بعلمهم ، فإذا قصر العالم في إعزاز علمه وفي ترفعه عن دنيا الناس قد لا يؤدي العلم وظيفته .

القاضي شريح و قصته مع زوجته الصالحة :

على كل من هؤلاء التابعين القاضي شريح ، القاضي شريح لقيه صديقة الفضيل فقال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً في خَلقها ، أي فقيهة متعلمة وجميلة ، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية (أي انتظر) فقامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتيه وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي

من رجال قومي من هو كفء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتق الله فيّ وامتثل قوله تعالى :

(فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ (229))

(سورة البقرة)

أي زواج بني على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين :

القاضي شريح ليلة عرسه ما كان يفكر أن يلقي خطبة ، ثم قعدت ، قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، وقف وقال : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، الآن دقق ، ما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها . قالت : كيف نزور أهلي وأهلك ؟ قال : نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين حتى لا يملونا .

وفي الحديث الشريف :

((زر غِبًّا تزدد حبًّا))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

قالت : فمن من الجيران تحبَّ أن أسمح لهنَّ بدخول بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قومٌ صالحون ، وبنو فلان قومٌ غير ذلك ، قال : ومضى عليَّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا فلمَّا دخلت رحَّبتُ بها أجمل ترحيب ، قالت لي أمها : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة، قالت : يا أبا أميَّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلّلة فوق الحدود ، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب وهذّب ما شئت أن تهذّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة .

نستفيد من هذه القصة أن أي زواج إذا بني على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما ، وما من حديث شريف ينطبق على الزوجين المؤمنين كهذا الحديث :

((والذي نفس محمد بيده : ما تواد اثنان ، ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد عن ابن عمر]

الأستاذ جميل :

سؤال أخير ، كيف اللحاق بهذا الركب ، ركب الصحابة والتابعين ؟ أم أنهم حازوا فضل السبق فلا لحاق بهم ؟

التزام منهج الله عز وجل طريق الإنسان للحاق بركب الصحابة و التابعين :

الدكتور راتب :

والله الأبواب مفتحة على مصارعها لكن مقام سيدنا الصديق هذا مغلق ، هذا مكان الصديقية مغلق أما البقية مفتوح ، اشتقت لأحبابي ، قالوا : لسنا أحبابك ؟ قال : لا ، أنتم أصحابي ، أحبابي أناس يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ، أجرهم كأجر سبعين ، قالوا : منا أم منهم ؟ قال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون ، لذلك :

((عبادة في الهرج كهجرة إلي))

[مسلم عن معقل بن يسار]

هذه طمأنة للأخوة الكرام الذين التزموا منهج الله في ظروف صعبة جداً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (12-12): مقومات التكليف ، الفطرة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :
تحدثنا في الحلقة السابقة عن مقومات التكليف ، وعنينا بمقومات التكليف تلك الأدلة الواضحة ، والآيات الجلية التي تشهد لله عز وجل بوحدانيته ، الكون الصامت كما علق على ذلك فضيلة الدكتور ، ذلك يشهد لوحدانية الله ، ونتحدث اليوم عن الفطرة وهي من ثوابت النفس البشرية ، فضيلة الدكتور ما هي الفطرة وكيف تعد من مقومات التكليف ؟

كل إنسان معه مقياس ذاتي يكشف خطأه من دون موجه أو معلم أو رسالة :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أستاذ جميل جزاك الله خيراً على هذا السؤال ، كما أن الله أودع في الإنسان عقلاً يعد مقياساً للحقائق أودع في نفسه مقياساً آخر هذا المقياس يكشف له خطأه ، أي أنت بالمقياس الحديث مبرمج أو مولف أو مفطور أو مكيف على منهج الله عز وجل ، فما من أمر أمرك الله به إلا ونفسك تتمناه ، وما من نهي نهاك الله عنه إلا ونفسك تعافه ، فالإنسان معه مقياس ذاتي بإمكانه أن يكشف خطأه من دون موجه ، من دون معلم ، من دون رسالة :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)

(سورة الروم الآية : 30)

إقامة وجهك للدين حنيفاً هو نفسه ما برمجت عليه :

(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

(سورة الروم الآية : 30)

ما من أمر أمرك الله به وما من نهي نهاك الله عنه إلا وجبلتك مبرمجة عليه :

الله عز وجل أمرك أن تكون صادقاً ، وجبلتك تكبر الصدق ، تحب الصدق ، أمرك الله أن تكون أميناً ، وجبلتك وفطرتك تحب الأمانة ، لكن حتى الأمور لا تختلط أن تحب الأمانة شيء وأن تكون أميناً شيء آخر ، حتى الذي يأكلون أموال الناس بالباطل يقتسمونها بالعدل ، لأن العدل فطرة ، فالفطرة أنك مبرمج ، مولف ، مصمم ، مفطور على الكمال ، من هنا جاء العذاب النفسي ، إنسان فطرته ليست كاملة فارتكب الجرائم يبقى مرتاحاً ؟ لا يوجد إنسان على وجه الأرض يرتكب خطأ فاحشاً إلا ويتألم ألماً داخلياً ، وهذا ما يسمى بالكآبة المعاصرة ، الكآبة الآن أكبر مرض بالمجتمع البشري ، لأن هناك حركة بخلاف الفطرة ، حركة بخلاف منهج الله ، إن قلت فطرة يعني منهج الله ، إن قلت فطرة يعني الأمر والنهي ، ما من أمر أمرك الله به وما من نهي نهاك الله عنه إلا وجبلتك مبرمجة عليه لذلك :

(حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ (7))

(سورة الحجرات)

أنا أضرب مثلاً ، لي صديق في بلد عربي مجاور روى لي هذه القصة ، إنسان يقود مركبة في الساعة الثانية ليلاً ، ودهس طفلاً ولم يعلم به أحد ، كتب الضبط ضد مجهول ، هذا الإنسان لأربعين يوماً لم يستطع أن ينام ليلة واحدة ، ليس هناك مسؤولية ، وليس هناك إدانة ، ولا أي ضبط ، ولا أي تقرير ، إلى أن ذهب إلى طبيب نفسي قال له : لا ترتاح إلا إذا أديت الدية لأهله ، هذا قتل خطأ .

الفطرة جبلة طبيعية فطر عليها الإنسان متوافقة مع منهج الله تعالى :

عندنا في علم النفس مرض اسمه الهستريا ، اسمه على خلاف واقعه ، الهستريا شلل عضوي لسبب نفسي ، الإنسان يلوم نفسه فتشل أعضاؤه ، مرض من الأمراض ، أي إنسان في الأرض من الستة آلاف مليون يرتكب خطأ ينهى عنه وحي السماء يحس بكآبة ، لذلك أكبر مرض نفسي في العالم الكآبة، الذين وصلوا إلى قمم النجاح ينتحرون أحياناً عندهم كآبة ، الكآبة خلاف منهج الله عز وجل ، وخالف مبادئ فطرته ، سواء أقلت : فلان خالف منهج الله أو فلان خالف مبادئ فطرته المؤدى واحد ، فالفطرة جبلة طبيعية ، خصيصة فطر عليها الإنسان ، متوافقة تماماً مع منهج الله ، والدليل هذه الآية الأولى :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)

(سورة الروم الآية : 30)

أن تقيم وجهك للدين حنيفاً هو ذاته فطرتك :

(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه)

(سورة الروم الآية : 30)

فطرة الله ، تأتي بدلاً في الإعراب

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور إذاً الأمر هذه الفطرة التي أعطانا الله عز وجل إياها بعد العقل ، العقل أولاً والفطرة ثانياً ، هي ليست خاصة بفئة من الناس ، بل هي عطية وهبة للناس جميعاً.

الفطرة هبة للناس جميعاً :

الدكتور راتب :

الدليل أن الله عز وجل يخاطب أحياناً المؤمنين ، يا أيها الذين آمنوا ، وأحياناً أخرى يخاطب الناس كافة ، الآية تقول :

(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)

(سورة الروم الآية : 30)

أي إنسان حتى الملحد ، ملحد أمه من سبعة أيام لم تأكل شيئاً ، جاء بطعام نفيس أكله وحده ألا يشعر بحقارته ؟ شعور ذاتي ، لذلك أقول لك الآن كلمة خطيرة : أحياناً الإنسان يحتقر ذاته قد لا يدري بخطئه أحد ، قد يكسب مالاً كسباً غير مشروع ، قد يبني مجده على أنقاض الآخرين ، قد يبني غناه على إفقار الآخرين ، قد يبني قوته على إضعاف الآخرين ، قد يبني حياته على قتل الآخرين ، قد يبني عزه على إذلال الآخرين ، هذا الإنسان قوي ولا أحد بإمكانه أن يعترض عليه ولكن في داخله انهيار ، انهياره الداخلي بسبب فطرته ، هذا الانهيار يجعله بوضع صحي غير جيد ، سريع الانفعال ، ردود فعله قاسية جداً ، هذا اضطرابه النفسي ، أستاذ جميل أنت بالعقل تعرف الله وأنت بالفطرة تعرف خطأك ، الله عز وجل سيحاسبنا ، بالكون آيات (وأعطاك عقلاً)كافية لمعرفة الله ، و لك فطرة كافية لمعرفة خطأك ، لذلك في بعض الفنادق بألمانيا كتب على السرير إذا لم تنم هذه الليلة فالعلة ليست في فراشنا إنها وثيرة ولكن العلة في ذنوبك إنها كثيرة .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ما حكم هؤلاء الذين ينقادون إلى خلاف فطرتهم ؟

من خالف فطرته انقلب كالوحش الكاسر :

الدكتور راتب :

في البداية هناك آلام ، أي إنسان يخالف فطرته لو عقّ أباه ، لو عق أمه ، لو ارتكب خطأً فاحشاً ، لو

أضر بإنسان ، أي إنسان كائن من كان في كل مكان وزمان ، حينما يؤذي أخاه الإنسان يتألم من الداخل، هذا الألم إلى حين ، إلى أن تنطمس فطرته يصبح كالبهيمة ، هؤلاء الذين ألفوا العدوان على الآخرين ، ابتزاز أموالهم ، انتهاك أعراضهم ، بعد حين تنطمس فطرتهم هذا المعنى يعبر عنه في القرآن الكريم :

(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14))

(سورة المطففين)

الأستاذ جميل :

إذاً هذا هو الران الذي يلمس به القلب .

الدكتور راتب :

هذه الفطرة المنطمسة .

تصميم الفطرة من قِبل الله عز وجل تصميمياً رائعاً تكشف بها الخطأ من الصحيح :

لكن هناك آية :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7))

(سورة الشمس)

كيف سواها ربنا ؟ قال تعالى :

(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8))

(سورة الشمس)

نحن نخاف أن يفهم من هذه الآية أن الله خلق فيها الفجور معاذ الله ، هذا المعنى مرفوض ، لكن الآية تعني أن الله صمم هذه النفس البشرية تصميماً رائعاً ، بحيث لو أخطأت لكشفت ذاتياً أنها أخطأت ، الإنسان لا يحتاج لا إلى موجه ولا إلى مرشد .

الأستاذ جميل :

بمقياس داخلي .

الدكتور راتب :

حتى الهرة إن أطعمتها قطعة لحم تأكلها أمامك ، أما إذا خطفتها بفطرتها تعرف أنها معتدية تأكلها بعيدة عنك .

الأستاذ جميل :

متابعة لحديثنا عن مقومات التكليف نتحدث عن الشهوة كيف التعامل معها ؟ وما هي مصارفها فضيلة الدكتور ؟

الشهوة ميل فطري أودعه الله في الإنسان :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بادئ ذي بدء هذه الطاولة التي أمامي لا تتحرك لأنها لا تشتهي شيئاً ، الشهوة ميل فطري أودعه الله في الإنسان ، قال تعالى :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

فقد أودع الله فينا هذه الشهوات ، الإنسان يشتهي الطعام والشراب حفاظاً على وجوده ، يشتهي المرأة حفاظاً على بقاء النوع لكن من دون أن يشعر ، يشتهي العلو في الأرض حفاظاً على بقاء الذكر ، هذه الشهوات بالضبط كالمحرك في المركبة تجعله ينطلق ، يخرج من البيت بحثاً عن عمل من أجل أن يشتري بالأجر طعاماً يأكله ، بعدئذ بحثاً عن بيت من أجل أن يشتري مأوى يسكنه ، بحثاً عن زوجة ، ثم بحثاً عن أن يرتقي عند الناس من أجل أن يشتري مركبة فارهة يزهو بها ، فالإنسان يبدأ بالطعام والشراب ، ثم يتابع متابعة شهواته الزواج ، ثم يتمنى العلو في الأرض ، هذه شهوات أودعها الله في الإنسان ولولاها لما رأيت على وجه الأرض شيئاً ، لا رأيت جامعة ولا جسراً ، ولا بناءً ، ولا مؤسسة، لا ترى شيئاً كهذه الطاولة لا تتحرك لأنها لا تشتهي شيئاً .

الأستاذ جميل :

ليس المطلوب كبح تلك الشهوات أو قمع تلك الشهوات وإنما لها مصارف دقيقة .

الشهوة يرقى بها الإنسان إلى الله مرتين ؛ صابراً و شاكراً :

الدكتور راتب :

الإنسان للتقريب : مركبة فيها محرك هي الشهوات ، وفيها مقود هو العقل ، وفيها طريق هو الشرع ، فمهمة العقل أن يبقي المركبة على الطريق ، إذاً لولا الشهوات لما ارتقى الإنسان إلى رب الأرض والسماوات ، كيف تتقرب إلى الله ؟ بشيئين ، بترك شهوة لا ترضي الله ، وبممارسة شهوة ترضي الله ، مثلاً المال ، أنت حينما تبتعد عن دخل مشبوه تتقرب إلى الله ، ترتقي إليه ، أنت تشتهي المال أودع فيك

هذه الشهوة لكنك خفت من الله فلم تأخذ المال الحرام ، ثم حينما تعمل عملاً مشروعاً وتكسب المال المشروع تشتري به طعاماً ، تتزوج به ، تنجب أولاداً ، الآن ترقى إلى الله شاكراً ، فبالشهوة ترقى إلى الله مرتين ، ترقى إلى الله صابراً حينما تكف نفسك عن شهوة لا ترضي الله ، وترقى إلى الله شاكراً حينما تمارس شهوة وفق منهج الله ، والدليل قال تعالى :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المعاكس من يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه ، بالإسلام لا يوجد حرمان ، بالإسلام يوجد تنظيم .

الشهوات طريق الإنسان للوصول إلى الله عز وجل :

مرة ثانية : لا يوجد شهوة أودعها الله فينا إلا لها قناة نظيفة تسري خلالها ، لذلك في بعض آيات القرآن الكريم :

(بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (86))

(سورة هود)

ما معنى بقية الله ؟ أي أنت مسموح لك تتحرك بشهوة مئة وثمانين درجة إلا أن الشرع سمح لك بمئة درجة ، فما تبقى لك من هذه الحركة الواسعة هو الخير ، المرأة زوجة ، لا يوجد خليلة ، لا يوجد عشيقة بمنهج الله عز وجل ، هناك زوجة بالحلال ، لا تستحي بالعلاقة بها ، العرس معه إطلاق أبواق المركبات كأنه إشهار نحن تزوجنا وفق منهج الله ، أما أي علاقة غير صحيحة بين شاب وفتاة يخافان ولا يوجد إشهار هناك تستر في مكان مظلم ، في مكان بعيد عن أنظار الناس .

الشهوة لولاها لما ارتقينا إلى رب الأرض والسماوات .

الشهوة أحد أسباب رقي المجتمع إن سلك الإنسان فيها الطريق الحلال :

هناك من يتوهم أن الشهوة أحد أسباب فساد المجتمع ، هي أحد أسباب رقي المجتمع ، أنت كيف تتقرب إلى الله ؟ بترك شهوة لا ترضي الله ، لا يوجد قانون في الأرض يمنعك أن تنظر إلى النساء ، وأن تملأ عينيك من محاسنهن ، ولكن الشرع يأمرك أن تغض البصر ، إذاً كل شيء أودعه الله فيك له قناة نظيفة تسري خلالها هذه الشهوة ، إذاً الشهوة محرك ، يمكن أن تكون سلماً ترقى بها إلى الله ، يمكن أن تكون دركات يهوي بها الإنسان إلى جهنم ، مثل بسيط : عالم جليل التقيت معه مرة ، قال لي : عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم أطباء منهم خمسة عشر من حفاظ كتاب الله ، فأنا فكرت هذا الكم الكبير من

الأحفاد الصالحين المثقفين الدينين بسبب علاقة جنسية بين هذا الرجل العظيم وبين زوجته ، هذه علاقة أنجبت أحفاداً وأصهاراً وذرية مباركة دينة ، وأي بيت دعارة فيه علاقة مشابهة لكن علاقة بالحرام ، الشهوة كالوقود السائل في المركبة إن وضع في المستودع المحكم ، وسار في الأنابيب المحكمة ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي الوقت المناسب ولد حركة نافعة ، أقلتك أنت وأهلك إلى مكان جميل، أما إذا صبّ هذا الوقود على المركبة ، وأصابته شرارة أحرق المركبة ومن فيها ، فالشهوات طريق للوصول إلى الله ، على خلاف ما يفهم عامة الناس .

الأستاذ جميل :

هو مفهوم آخر ليس المطلوب من المتدين أن يكون قاعداً ، ولكن هي المحرك التي تميزه عن هذه الطاولة والجمادات ، فضيلة الدكتور اطلب منكم نصيحة أبوية من القلب إلى القلب لذلك الشاب المسرف على نفسه ، الذي يغيب عقله أمام شهوة المال أو الشهوات المحرمة ، ماذا تقول له ؟

الشهوة ليست قيداً لحرية الإنسان إنها ضمان لسلامته :

الدكتور راتب :

أقول له : الله عز وجل ما أودع فيك هذه الشهوات إلا ليسمح لك أن تمارسها بشكل نظيف ، أنا أظن أن بعض الشباب يتوهمون أن في التدين حرماناً ، أنا أقول دائماً حقل ألغام أمامه لوحة ، لا يمكن لعاقل أن يظنها قيداً لحريته بل يتأكد أنها ضمان لسلامته ، فهذا الشاب يحب المرأة ، يحب المال ، إذا علم علم اليقين ، إذا طلب العلم الصحيح ، إذا سار في معرفة الحقيقة ، يوقن أن كل هذه الشهوات سوف يصل إليها في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، وبراحة نفسية ما بعدها من راحة ، لأن الله عز وجل قال :

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

(سورة الرحمن)

جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، والدليل :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(سورة الجاثية)

مستحيل وألف ألف مستحيل أن تتجه إلى الله رب العالمين وأن تكون محروماً في الحياة .

الأستاذ جميل :

إذاً الجنة جنتان ، في الدنيا جنة وجنة السماء .

انقلاب الفطرة إلى صبغة بالاتصال بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

ولكن جنة الدنيا كما قال بعض العلماء : في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، قال تعالى :

(وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6))

(سورة محمد)

في الدنيا ذاقوا طعمها ، إن طعمها هو القرب من الله عز وجل ، لكن لابدّ من ملاحظة : أنا ذكرت الفطرة أن تحب الشيء لا أن تفعله ، لكن الصبغة أن تكون كريماً ، الفطرة أن تحب الكرم ، الفطرة أن تحب الرحمة ، الفطرة أن تحب العدل ، ولكن الصبغة أن تغدو عادلاً وأن تغدو كريماً ، بالاتصال بالله تنقلب الفطرة إلى صبغة :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)

(سورة آل عمران الآية : 159)

هذه النقطة دقيقة جداً أنا أتمنى أن ينتقل الإنسان من فطرة سليمة إلى صبغة راقية .

الأستاذ جميل :

يصبغ بهذه الخصال الفطرة السليمة التي أودعها الله عز وجل في النفس .

الدكتور راتب :

الله عز وجل عندما يطلب الإنسان العلم يعرف الحقيقة ، وبدافع من حبه لوجوده ، ولسلامة وجوده ، ولكمال وجوده ، ولاستمرار وجوده ، يتحرك نحو سلامة وجوده وكمال وجوده .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس